الأسدى م. خيرالدين

أغاني القبة

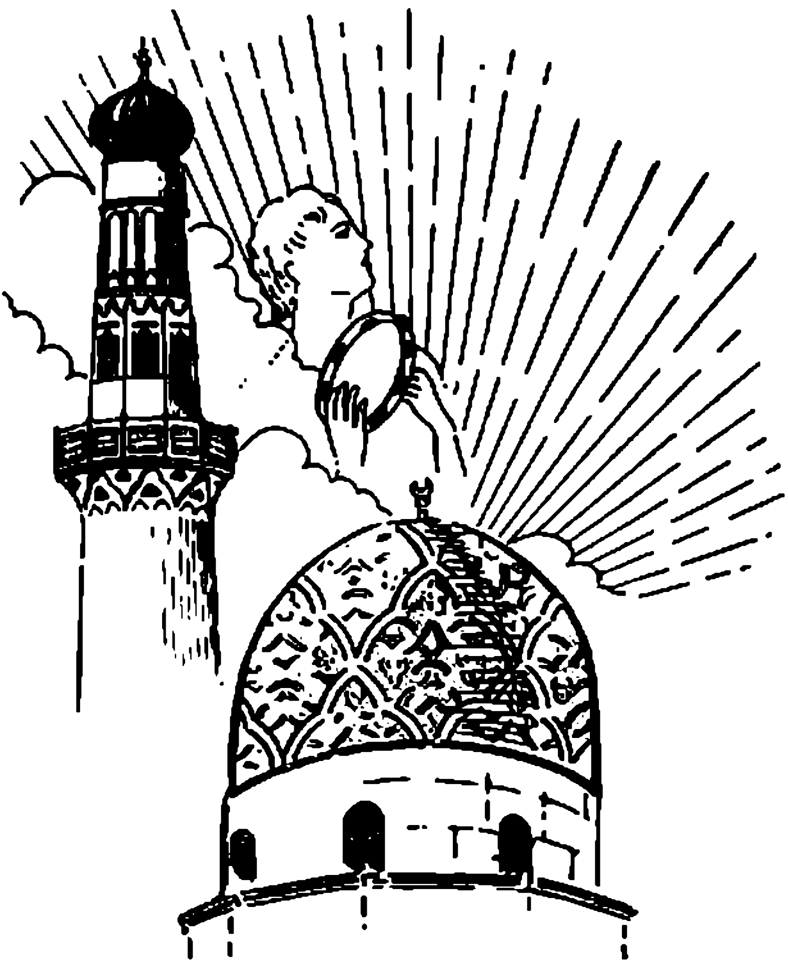
نفحات صوفية



الأسدي م. خير الدين

أغاني القبة

نفحات صوفية



مطبعة الضاد - حلب

إهداء إلى مكتبة جمعية العاديات

المقدمة *

هذه نفحات من الشعر الصوفي المنثور ، ارتفعت عن دنيا اليقظة ، كما ارتفع الموضوع عن دنيا الهيولا ، وارسلتها الغيبوبة الشارقة ثمرات من رفله الحب وجواه الى ساحة ما وراء الطبيعة

ونفحاتنا هذه رهيفة صميمية ناعمة ، لها لناها ومصطلحها ، كما لها آفاقها واجواؤها ، مسحتها يد الفن ، وفوفها إزميل الخيال ، واشتجرت غماغم السر في طواياها ، فهي إذن رسالة خاصة إلى نفوس خاصة ، تتنسم فيها رَوح الامتداد : لا حب طين ــ كما يظن الجهلة ــ ولا خمر ارض ، ولا الأرمنية الجميلة « شيرين » ، ولا التركي الجميل « إياز » ، ثم لانبو ــ كما يرى أهل الظاهر ــ ولاشطح ، إنما وجد علوي ، ونشوة روحية يغيض بها اللاشعور المستتر ، ويختلس الوعي

وللك ــ إن شئت ــ أن توجه الحب الى طراوات الجمال الهيولي : على انها أنداء من بحر الجمال الازلي ، فيكون مصب الوجد الهيف إذن هذا البحر

نعم . نفحاتنا هذه رسالة خاصة : لا عامة ، ليس في وسع السواد ــ وإن ثقف ــ تذوقها ، والنفوذ الى مطاوى الجمال فيها ، فشرعته هــــذا الشعر الترابي المموه الطاغي : شعر اليقظة ، يجمجم للحطام ، ويتردى في المادة

وما أدنى عهدنا بأشداق شقها هزل الزمان بشرط الصتار ، راحت توزع على الملأ شعر النبل والجد والعفاف ، بعاطفة ولغة مستعارتين ، فجاءت هـــذه الأشداق على حد قول جبران : « مغارة للصوص الألفاظ » . ويضرب الغوغاء بدف التصفيق ، فيخلع الشاعر على منبره ، وكل نبرة تقول : ألست المجلي ؟ انشروا إذن ديوان مخلصي ، ثم ابتاعوه بثمن يماثل ما في تلافيفه من دلع ، وهاتوا بوئوني منصباً يليق بمكانتي ، وإن ابيتم فهذى شفتي تقبل موطىء الاقدام

أما ماء الرجولة فليهدر ، كما هدرت قبلها ماء الصبوة لناهليها ، وهات يااطيب الثعلب ! وازعم انك شاعر العروبة ، واحمل على الدولة المزعومة ، لتساومها على ..

* أذيع جانب منها الى مقتطفات من الكتاب ، في اذاعة طهران ، صيف عام ١٩١٩

الشعر – يا قوم! يا ذوى العيون! – رسالة ووحى، لا شعوذة ولا تدجيل، ومعاذ الرسالة والوحى أن يهبطا إلا على طهر القلوب

ولقد كنتُ اوثر أن اخنق اغاريدى، لانى لم أشرف على تلك الاذن القدسية الحاضنة تموجات الوحى، أما الآن: وقد استوت سفينتى على جودى الفناء الصوفى، ووجدت فى مهداى تلك الاذن المربية، فلترفرف عصفورة الروح فى اجوائها الفن، ولترسل: قطفتنى منك، وخبأتنى فى صدرى ..

لقد جهد الوعى كثيراً فى ترتيب ما التقطته عدسة الغيبوبة، وما وضعته واملت هذه الاثارة من الطفرات من بقاياها التى لم يذللها الوعى

جعلت هذه النفحات مقطوعات، دعوت كلا منها «سورة» أى: «أغنية»، واوردتها على لسان «حافظ شيرازى»: لسان الغيب – كما لقب –، وزعيم الشعر الصوفى، وملهمى واستاذى، كما ألهم وعلم قبلى «جوتى»، اوردتها على لسانه – وان كان الاكثر منها لا ينتمى اليه –، وصدرت كل سورة بالمصادر التى تأثرت بها، فنقلت او استوحيت

واصطلحت فى مصدر حافظ خاصة على الكلمات التالية، تعبر عن مدى التأثر: «تغير»، «دون التغير»، «تدقق»، «دون التدقق»

ولم انقيد فى نقل واستيحاتى باللفظ، ولا بالمعنى، وإنما سكبت على كل ما عرضت من جام طابعى

وناديت موسيقا اللغة أجسد بها المعانى، وأجلو الاجواء التى ارتضيها، فلبت، ورفدت، وآذنت باستجابة غريبة سحرية فى ادق احاسيس النفس واعماقها

وارسلت مع مناغم جهرة الصوفية ما ابتدعته من مناغمى الخاصة بى، اثرها فى تربة الزمن: عجب الزمن، تتولاها الدراسات، وآن ذاك تجلّى وتقوّم

كما رغبت إلى ريشة السيد «جورج مصور» أن تقيم فى ابهاء القبة معرضاً صوفياً للرسم، مستوحى من الفن العربى والفارسى والهندى

وكان من كل ما تقدم ما نستقبله فى مدرستنا الجديدة: «اغانى القبة».

حلب – ٢٧ / ٨ / ١٩٥٠ — ابو سعد عمر بن عيسى

مدارك الشرح

تتصدر كل سورة بشرح طائفة من المفردات ، لا غنى عنها ، كأن نورد: تراجم وجيزة للأعلام ، مفردات من مصطلح الصوفية ، مفردات من مصطلحنا ، مفردات لا تنتمي إلى الفصحى ، مفردات غريبة . وقد نضم اليها ما هو معهود لدى كبار الكتاب استئناسا

أما شرح النص فلم نتطرق اليه - على ما يفرض الفن - فللقارئ أن يسبح في الجو الذي استوحى

وآثرنا ان تستقل هذه الشروح عن النص ، ليوغل القارئ . في الاستغراق لدى تلاوة النص ، دون ان يتوزع

وأقدمنا على طبع الشرح والتأثر اولا ، ليتسنى لنا ان نعيد النظر في النص وكان من الخير ، اذ تناولته يد الاصلاح بالتعديل والزيادة ، فاقتضى هذا ان يضاف الى ارقام الشرح ما يلي ، يلحق به :

١ مداداك : غايتك ، مبلغ جهدك
الزمام : المضاء
الدماع : ما يسيل من الكرم إذا قطع في الربيع ، ماء العين
الأم (بالفتح) : القرب
الأسوى : مؤنث الاسوان : الحزين

٢ ابن عطاء الله الاسكندري : متصوف شاذلي ، توفي سنة ٧٠٩ هـ

٣ الرازي فخر الدين : مفسر ، ليس بمتصوف ، توفي سنة ٦٠٦

٤ الجيلي عبد الكريم : سبط عبد القادر الجيلاني ، متصوف ، توفي سنة ٨٢٦

٥ الفاغية : نور الحناء ، اوكل نور
الرين : الدنس ، ما يغشى القلب من القسوة بارتكاب الذنوب
تنقل ترجمة فريد الدين العطار من الشرح ٢١ الى هنا

٦ برم به : سئمه
الذرعة : الوسيلة

٧ الهيشة : الصوت المخيف

٨ العنفص : نعمة الشباب ، الشاب الممتلئ
عسعس الليل : اظلم

١١ الدراري : من الدر : الكواكب

الملاوى : الطرق الملتوية

١٢ الملاب : المطر المائع ، والكلمة فارسية

١٣ تدهدَه : تدحرج
البَبّ : يراد صوت الصب ، ولو لم يسمع
التمّ : ايقاع موسيقى

١٤ تفتى : تكلم بكلام مفهوم

١٥ المَيون : يراد به الشديد الميَن

١٦ القُزَحى : نسبة الى قوس قزح
الهيم : جمع الهياء من الهُيام

١٧ القمراء : مؤنث الأقمر : من القمر
الثُّغ : ماء يرشح من الشجر إذا قطع

١٨ آبد الخيال : يراد به غريبه
الطَوْل : القدرة
الطامّة : الداهية

١٩ عندل المزار : صوت
النامغم : الكلام الغامض

٢٠ الأتيّ : الجدول تؤتيه الى ارضك ، السيل الغريب ، الانسان الغريب

المؤلّه : المنزل منزلة الإله

ياسين : مفتتح سورة من سور القرآن

الطواسين : جمع طاسين : مفتتح سورة من سور القرآن

٢١ الصديا : العطشى

٢٢ يحير : يرد الجواب

٢٥ الهيولا : الأصل ، والمادة ، والكلمة يونانية

٢٦ رفيي : مرخم رفيقة
فى نخوة شعر مررت : تعدى الفعل بفى على التضمين
هاه : آه : بإبدال الهمزة هاء ، ولو لم يسمع فيها
يا الجلنار : نودى ما فيه ال بيا ، على غير الشائع

٢٧ الكوكبة: اطلقناها على العازفين والمغنين
لوْليب : اشتقاق من الاولاب ، ولو لم يسمع
دوْليب : اشتقاق من الدولاب ، ولو لم يسمع
يلغى شرح الهيولا

تدارك التأثر

ويعدل التأثر كما يلي :

٢ يضاف : وجملة من ابن عطاء الله ، مع التعديل

٣ يضاف : وجملة من الرازى

٤ » : وجملتان من الجيلى

٥ » : وجملة من فريدالدين العطار ، مع التعديل

١٧ يضاف : وجملة من الحلاج ، وجلال الدين الرومى معاً

٢١ تلغى ترجمة فريدالدين العطار

٢٦ يلغى كل ما ورد ، ويثبت مكانه : كلها من وضع صاحب الكتاب

٢٧ يضاف : وثلاثة أبيات للحلاج

واخيراً فالكتاب ـ فى ما نعلم ـ خال من كل خطأ لغوى او صرفى او نحوى او عروضى او املائى ، كما خلا من الأخطاء المطبعية

فلا يرد اختلاف القافية : كما فى البيتين ص ٩٣ ، لأنه مذهب

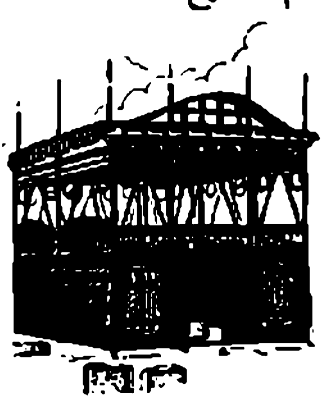
ولا يرد تقديمنا اللقب على الاسم والكنية ، لأن شواهد التقديم متوفرة ، يدعمها نفسية اللغة . والنحاة فى هذا واهمون

كما لا يرد اهمال الياء المتطرفة ، جرياً على نص علماء الرسم ، وخلافاً لما عليه العمل الآن من إعجامها .

الإهداء

إلى تبارك هذى التى عبثت من عين الغربة وعبثت ، ثم تشظت وانقضت ، حتى استوت على مفرق سلم الوجود ، والتفتت حولها ، فإذا لوحات الطبيعة ، وفيها رغيد عرائس الأنوار والظلال ، والتفتت اخرى ، فإذا لوحات الانسان وفى سوادها شباب الحازى بين فكى النار ، فلاذت بى نسمةً ووداعة وطهرا ، ولذت بها نسمة ووداعة وطهرا ، وازدادرنا الأحلام ، ومضى بـق مواكب العصور اغانينا

ثم . إلى تبارك هذى التى ولدت معها ولم ، وأموت معها ولن : إلى هذا التنزيل وفيه سرّ : إلى هذا السرّ وفى اعماقه جليل ، أرفع صلواتى هذه بإبتسام وخشوع .



الشرح

حافظ شيرازى : شمس الدين محمد : كبير شعراء الفرس ، مختلف فى صوفيته ، عاش فى القرن ٨ هـ

نضو القتب : مهزول التعب

الطاق : ما عطف من الأبنية

شيخ المجوس : يراد به الخمار الأعظم

البلجة الضحياء : ضوء الصبح الأشهب

الغالية : الأخلاط من الطيب

حجر الفلاسفة : حجر من خواصه - كما كانوا يزعمون - تحويل المعادن إلى ذهب

تسنيم : عين فى الجنة - كما فى القرآن -

الناثر

محور من حافظ مع التعديل وسائرها لصاحب الكتاب

سورة المدرج

٥

مسكين هذا السالك : نضو الأقتاب ، لقد جاب الوادي ، وجاب ، ولم يتبين حرم الحبيب

جبال صبري مادت، يا رباه ! واشتعل بخور قلبي في نار حبي

خيول الحادثات تواصل الجري ، وفارس عمري مقطوع العنان

على هامش العمر اللاهث يحيا غريب مشاعري ، أوّاه ! أما في فصول الحياة ربيع ؟

إني لأعيش بغير عمر ، وإلا فمن يحسب أيام الضنى في عداد الحياة ؟

فداك ، يا حافظ ! أعتاب شيخ المجوس بلجة سخياً ، ونهراً دافق الحنان



انا في زاوية الأمل كراصـــد القمر :
أنصب عين الطلب في طاق حاجب الحبيب

إذا ضربتَ في الصحارى شوقاً إلى الكعبة
فلا يحزنك أن آذتك الأشواك

منذ عزمتُ على الزّمامِ طوى خيالي
دماع الندى وقهقهة السراب

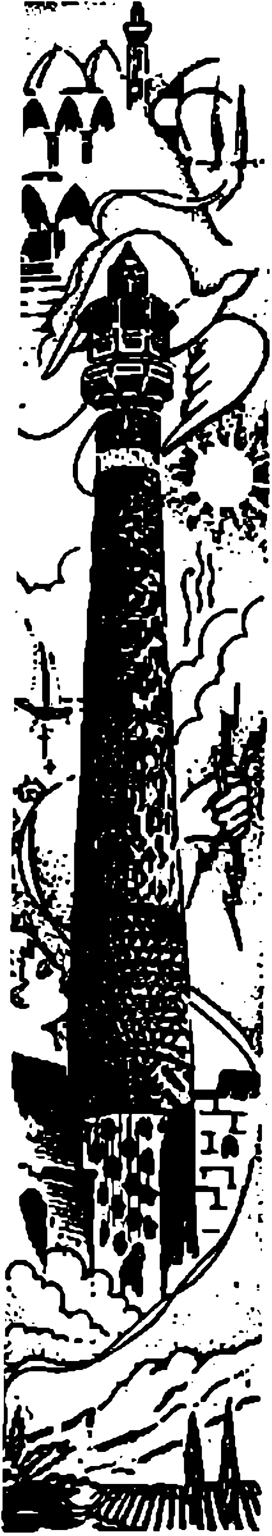
يا غرامي ! إن بدى تعويذة لك من اعـين
السوء ، فاتخذها تميمة تطوّق منك الجيب

عندما يتهادى خيال وجهك في روضـة
العين يقبل القلب ، لينظر اليك

اين غالية المراد ؟ يا نسيم السحر ! يا طيّب
الأنفاس ! أين ذؤابات الجيل ؟

لا تحضروا الشمع ، لا تأذنوا للنور ، لقد
تمّ بدر التمّ في أمسية حلقتنا حيث نفترّ بنور
التهاليل ونبكي

طلّ الدموع ـ يا سحاب ! ـ فوق زهر
البيات : هكذا معبد حي



أقبلتُ من إقليم المنى والنعيم إلى إقليم الضنى والشقاء ، لأحظى بحجر الفلاسفة من لدنك

ليدم مدرج الحب عامراً ، ثرَّ النجوى والقُبَل ، ولتُسقَ سروته دوماً بماء الدلال

في مدرج الحب المجيد وهج الحبور ، وهمس الطيور ، وفوح الضوع ، وحلم الضياء

هبّت أنسام الحبيب ريّا الأنفاس ، فمزّق الورد أكمامه ، وافترّ عن ثغر نضيد

همت أنداء الزهر في أذن الفجر ، وتوّج النور بسناه مفارق الجبال

ورفع الستار في مسرح الكون عن مشهد الجلال ، فتعالى الهتاف ، وأصغت العيون

جبينك حانة الإلهام ، على أكمّ من تسنيم ، يسكب منضور الفرند في حناجر الشداة

يا "هنا" شادي الجمال ، والكمال ، والدلال!
أيّ لطف ؟ أيّ مجد ؟ أيّ زهو ؟ يا هناء !

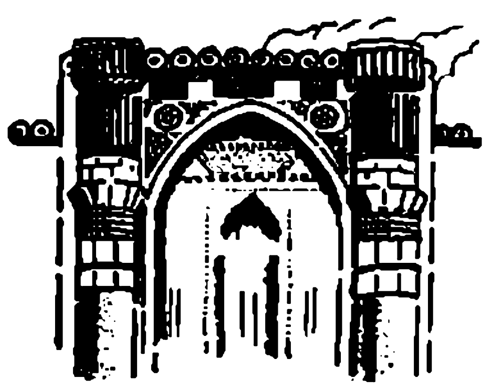
زغرد الأنس في مياديك ، يا جميل ! فاشرب العمر البرود ، يا ظما أسوان العيون !

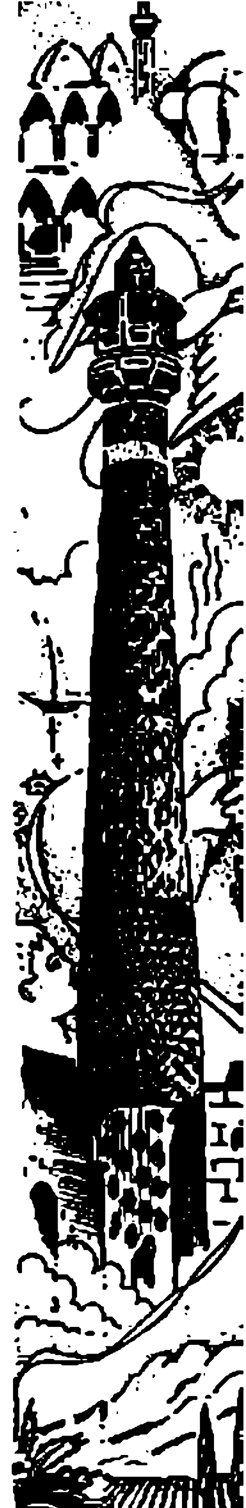
مذ أضاءت بنور وجهك خلوتي مضت الشمس كالظلال الحائلة أمام بابي وسقفي ، ورفت رأسي آمالي كبهجة الصبح على ضمير الوجود

وأقبل العقل يوقد مصباحه من هداي ، ثم مضى يرسم في مصحف الكون آلاف الرسوم

ردد معي : حافظ شراب عطاردي غريب ، في القلوب مباهج الحب وأفراح الحنان

ردد معي : حافظ وتر الحياة ، هدهده شفة الغيب ، إذ يعني الصمت وفي فمه كلام







الشرح

الداراني : ابو سليمان صوفي توفي سنة ٢٤٥ هـ

الشبلي : ابو بكر دلف صوفي فارسي توفي سنة ٣٣٤ هـ

الحبرة : السرور ، النعمة ، السماع للانغام في الجنة .

المكوثر : اشتقاق من الكوثر - وإن لم يسمع -

الأواسي : أردأ آثار الدار

حنو العين : طرفها

انا النقطة تحت الباء : يريد انه قوام الوجود

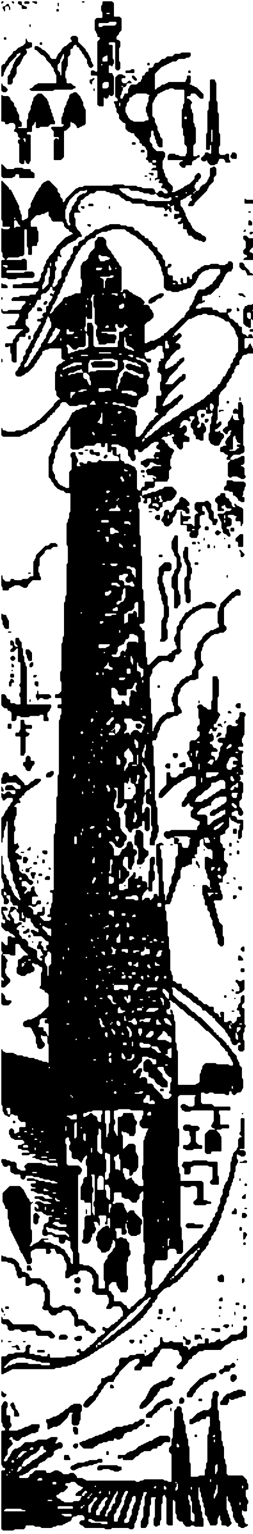
المآثر

غدق من حافظ مع التعديل

وجزء من جملة من الداراني مع التعديل

وجزء من جملة من الشبلي

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة القبرة

أنى لك، يا حافظ! هذا القفص: قفص الجسد، وأنت القبّرة: ذلك النغم الحالم على شفة الخلود

من خيوط الأنسام الحيرى تخففتُ أوتار عودي، أنغم ملاحني في تيه الله، حيث أفلاكُ الملكة، وحيث أنغمُ النور

إزاء عمود الصباح يتطاول عمود شعري: ساريتان من نور وبهاء يمطي فوقهما برج الجلال

مضيئاً، يا روح! يا جناح الطير! وزهرة الالهام! في معطاف العالم القدسي

مضيـاً إلى نبع الشمس الصادح المكوّر الفارق المفرق، لأغسل بمائه أواسيَّ وداني



وأفتح باب قلبي على القوى ، ليستقبل نسيم الشعاع من مهبّ الحياة

وأكحّل جفنيّ بكحل العين بتراب الحانة ، فلا أكتب ارقاماً خاطئة في لوح المعرفة

وأنزعَ عن وجودي نحاس الوجود، لأغدو ذهب الله بكيمياء حبه

لقد سُقيتُ السكينة في رحاب الجناب ، وُختم على شفتيّ ، فشربت دم قلبي في صمت وسكون

وأولاني حبيبُ الأزل كنزَ الحزن والرضى والطرب ، لأكون المغنى المبهم الحلو الصدّاح يحور في خلد الزمان

وناداني الصوت : بعيني أنت ، لأسقينك شراب الصدق ، ولأكشفنّ لك عن وجهي الكريم

ولأطلعنك على لغات الصمت في الطير والزهر ، وفي كل رفيف



فأنا النقطة تحت الباء ، انا سلطان مملكة النور ، انا رُبّان بحر التمجيد ، انا قيّوم الزمان والمكان

شهدت عهد أن كانت النقطة دائرة عوالم الحروف ، ونظر الحق اليها بالهيبة فسالت وكانت ألفا

انا طائر بستان الله ، انا تطريبة السماء ، أفلتُّ من شباك الدنيا على نداء الحبيب

انا مزامير محراب الزمن ، انا ببغاء الحضرة ، اردّد ما ينفث فى منقارى أستاذ الأزل

انا قُمْرِىّ الفجر ، أهيم بجناحى من تمرّقه الى مرفه ، وأشعل فوانيس المرح فى شغاف الحياة

نحتْ مسامع مشامى ومشام مسامعى تراتيل العطر من قُمقم الله

ادّعت الحواس ، يا عبابيد الديار ! فلا يستقرّ بى فى أرضكم سبب ولا وسيل

وهمت في أوداء الهوى ، تنوء بي أحلام السماء ، فأزجرها شعراً غريب النغم

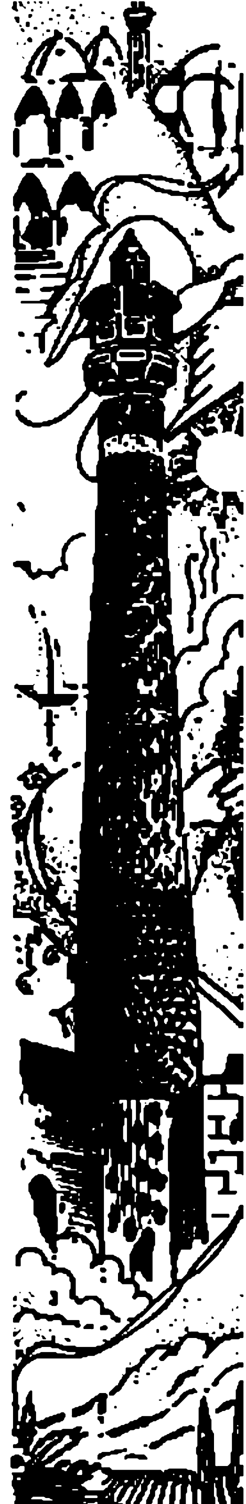
فقل لرضوان الجنان : هذا تراب مجلس حافظ ، اجعله بخوراً في مجمرة فردوسك

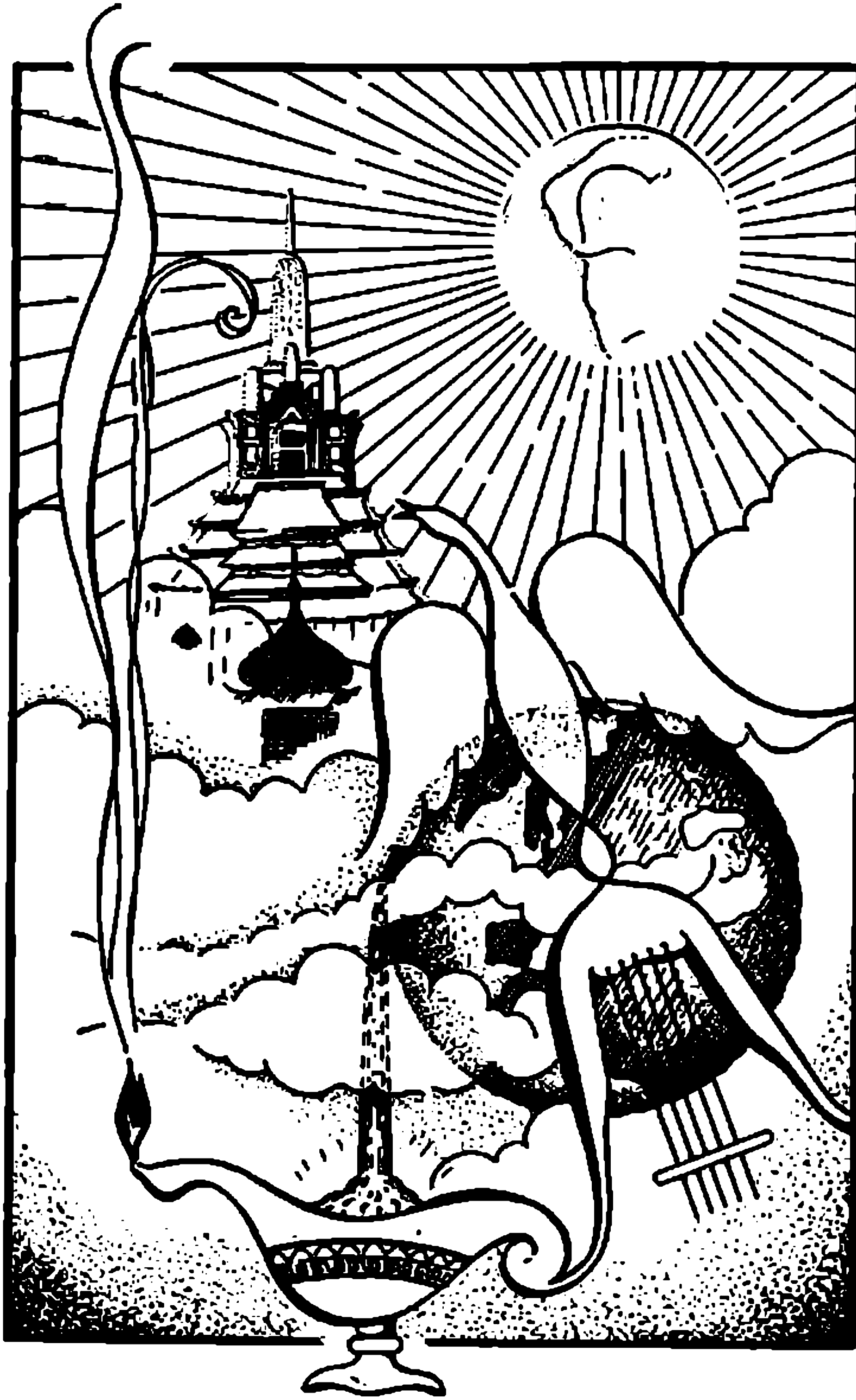
افتح ممالك القلوب ، وأغرق ساحة الكون بالنشوة الصفوة المطــاريب ، وأسوق بأسماء الحبيب هذه الدنيا في هدوء

أرعى رواسخ أعناد عهدي حتى ديجور الأبد ، كما رعيته منذ تنفس فجر الأزل :

منذ أن لقّنا النور في مجالي السعود ، ولجّ بنا الهوى ، فافترقنا على ميعاد .







- ٣ -

الشرح

مراد العاشق : مقصد طالب المعروف

الددا : اللهو واللعب

الأرغوان : زهر أحمر

غريض الشباب : طريّه

السيسبان : نبات تزييني

الشمشاد : شجر معتدل القوام كالصفصاف

العين الوطفاء : الكثيرة الشعر

النـاثر

دون الشعر من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الجمال

طاب الزمان ، وأمسك ملاك الرحمة جام الهناء ، يسقى به وجوه الحور والولدان

فتكثر السكر ، وتعطر الياسمين ، وسال لعاب حافظ : بياع الغرام

قلتُ : سلاماً ، طبتَ . قال : امض أيها الدرويش العربيد ! كيف غادرتَ جنة المأوى وضربتَ خيمتك فى هذا الخراب ؟

يا هدهد الصبا ! يا مراد المشتاق ! إنى مرسلك إلى سبأ بكتاب عنبر حى

دقّق دقّق ، يا جناح ! واسكب ـ بحياة قلبك ـ تصفيقة الألحان على أعتاب بلقيس

قل لها : ما لها ؟ لثمتُ خدّ الضحى :
صلاتنا عمرُنا ، نحن عبادُ الشعاع

يا من تسعد روضة العمر بندى نسيمه !
يا من لا يُفضى اليه بحماسة ! غشيت جلالتك
آفاق روحى

لم يشرق قمر فى مثل بهائك من برج الجمال ،
ولم تنبت سروة فى مثل اعتدالك على شاطئ
الدلال

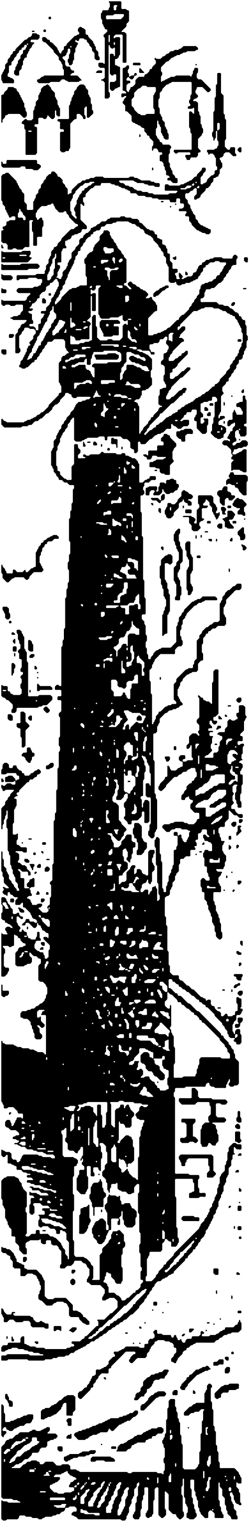
النرجس الناضر الذابل يستعير نظراته
الحلوة الوديعة من مشابك جفونك : خزانة
اسرار الضياء

عرفت عينك المخمورة غرامى بك ، فمزقت
كبدى : كما التركى السكران يرغب فى شواء
الطعام

دَدّاً دَدّاً ، يا محبوب ! يا مَسرح الأمانى ،
وطرّة من حلك الأهلة !

كلانا قلب طفل ، فيا نرتع ، ونلعب ،
ونشم بلغى الطيور ، ونرسل هانئ القهقهات





لستُ أعرف متى ذهبتَ الى الخميلة ، يلعب
بك السراب ، فأضرم نور وجهك النار في
أوراق الأرغوان

ووليهُ طروب البلابل : أيُّ ندىً ؟
يا ندامى ! وأيُّ نور ؟

موجةٌ أم موجةٍ من نوافح الأزاهير إلى
المشام ، وطبعةٌ أم طبعةٍ من نغير القبلات
في سواد العيون

يا ربيع العمر ! يا غريض الشباب ! إنّ عين
الفلك لم ترَ شباباً أنضر من ندايا شبابك

أصبحتُ مذ تعانقنا على الوداد بلبل
السوسن : على أماني ما تضمره أنت ، وعلى
عيوني أغرودة استقطاب النور

وسرى إلى الروح غمر الرضى ، فابتسمتُ
للحياة ابتسام الصبيان ، وطربت معه لكل
المهاب

يا شادي النور ! غناؤك الحلو البهيج يردّد
في محراب الزمن : الفنّ في الوجود نغم بالوجود

ومنذ ابتعدت عن مرتع حبيك لم يتخذ
طائر الصباح عشاً له بين أغصان الشمشاد

فتعال من سراياك إلى صومعة المتيمين ،
وتبوأ عرش القلوب بهداية طرتك الضالة مع
النسيم

ستنشر أغاني الوصال ألوية اللطف
والحنان ، فيصبح الدهر الهرم غض الاهاب ،
نضير الشباب

وسترنو عيون النرجس الوطفاء الى حمرة
خدود الشقائق الحمراء

وسيمضي البلبل في تحنانه ، فتتجاوب
أصداؤه في قباب الأفلاك

مجيد ! لا أثني عليك بسلب نقائص الناس
عنك ، كلا ، ولا باسناد كالاتهم اليك ، فمجدك
اوج ، وكل هباء .







الشرح

محي الدين بن عربي : الملقب بالشيخ الأكبر ، من مشاهير الصوفية ، توفى سنة ٦٣٨ هـ

دير المجوس : الحانة

الخضر : تذهب الروايات إلى أنه شرب من ماء الحياة

الطواغيت : جمع الطاغوت : كل رأس ضلال ، الصارف عن طريق الخير

فهق : امتلأ حتى صار يتصبب

الدلق : لباس الدراويش

التأثر

غدق من حافظ مع التعديل

ويشان لمحي الدين بن عربي

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الزنار

حينما رفرفت راية الأنوار على مفارق الجبال طرق حبيبي بيد الرحمة باب المتيم

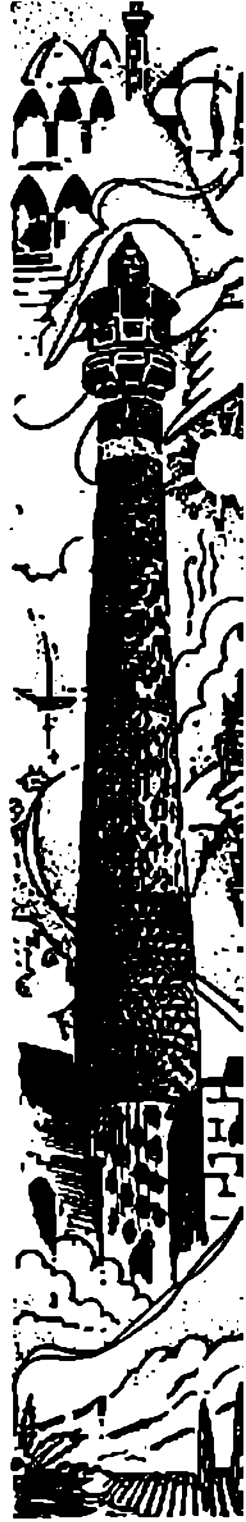
فترامت من قرارة خزانة الصوت: هو هو، وانعقدت على الشفة قبلة لاظية

دائرة هاء، وهو، انسان عينه المحيط، والعالم هذا الخلاء في احضان الدائرة

يا لسناء الحكمة! لو لم تدر دائرة الهاء على هذا الخلاء لم يكن له قط وجود

المحيط الهائي تلازمه السرمدية، والنقطة معه من لازم الملزوم

جدد شبابي، يا نديم! بهجة من شباب الخائل، ثم ارفع الصوت: أين دير المجوس؟ أين الشراب المعتق؟



شقائق النعمان فاغمت السر ، وعرفت شجو
الزمان ، فهي مُنشد أبدا ، وفي كفها كأس
المدام

في قرارة الكأس ترياق المسموم ، وعلى
شفتها فوحة ماء الخضر : سلسبيل الحياة

سرايا المجوس هائمة بليلة ، وحملة الأباريق
عقدوا فوق مفرق الشيخ خيمة تعلو
السحاب

سيطوف حافظ حول البيت الحرام : بيت
الأباريق والدنان

الحانة بحر لجيّ ، وانا السبّاح ، والغرام
درّة يتيمة ، وانا الغوّاص

انا خالص الذهب ، وعيار حبي لا يحول ،
ولو صهروني بالنار ، أو قطعوني بفم المقراض

دع ديوان الظلمة ينجحر في إهاب هؤلاء
الطواغيت ، واستمع مني وحدي ، انا في السكر
والعربدة والخلاعة نديم الثريا والقمر



قلبي مفتاح قصر السعادة ، وفهقة الأحلام
الوضاء ، ونهلة هنيئة من سلسل الحياة

هيأت ظلال المروة ، مذ عقد الزمان
زناراً ذهبياً على عباءة الحبيب

أتسمع لي ، ياعاقد الزنار : يا ذارع الأفلاك
ـ والقمر في ركابه ـ ! أتسمح لي بحل
أنشوطتك ؟

أنت انا ، وانا أنت ، ما من غريب : هيان
وجه المرآة

لامس شعري بطراوة يدك ، وأذن
لدفتي خدينا أن يتراشحا ، ثم أدغم حرف
بأبجديتك

يا آية الألطاف ! اظهر لي وجهك فالق
الأصباح ، ثم متعني بغيبوبة لا أشعر معها
بوجودي

أما تعاهدنا في الوادي الأيمن ؟ فأذن لي أن
أردد قول موسى : « أرني أنظر إليك »



ليكن موعدنا وراء بحر بلور الأثير، وليكن ثالثنا إعادة الشيخ الأكبر :

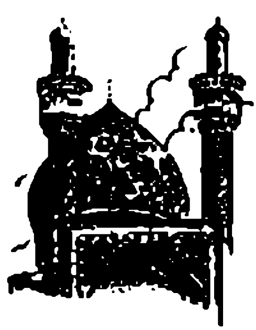
إذا تبدّى حبيبي بأيّ عين أراه ؟
بعينه لا بعيني فما يراه سواه

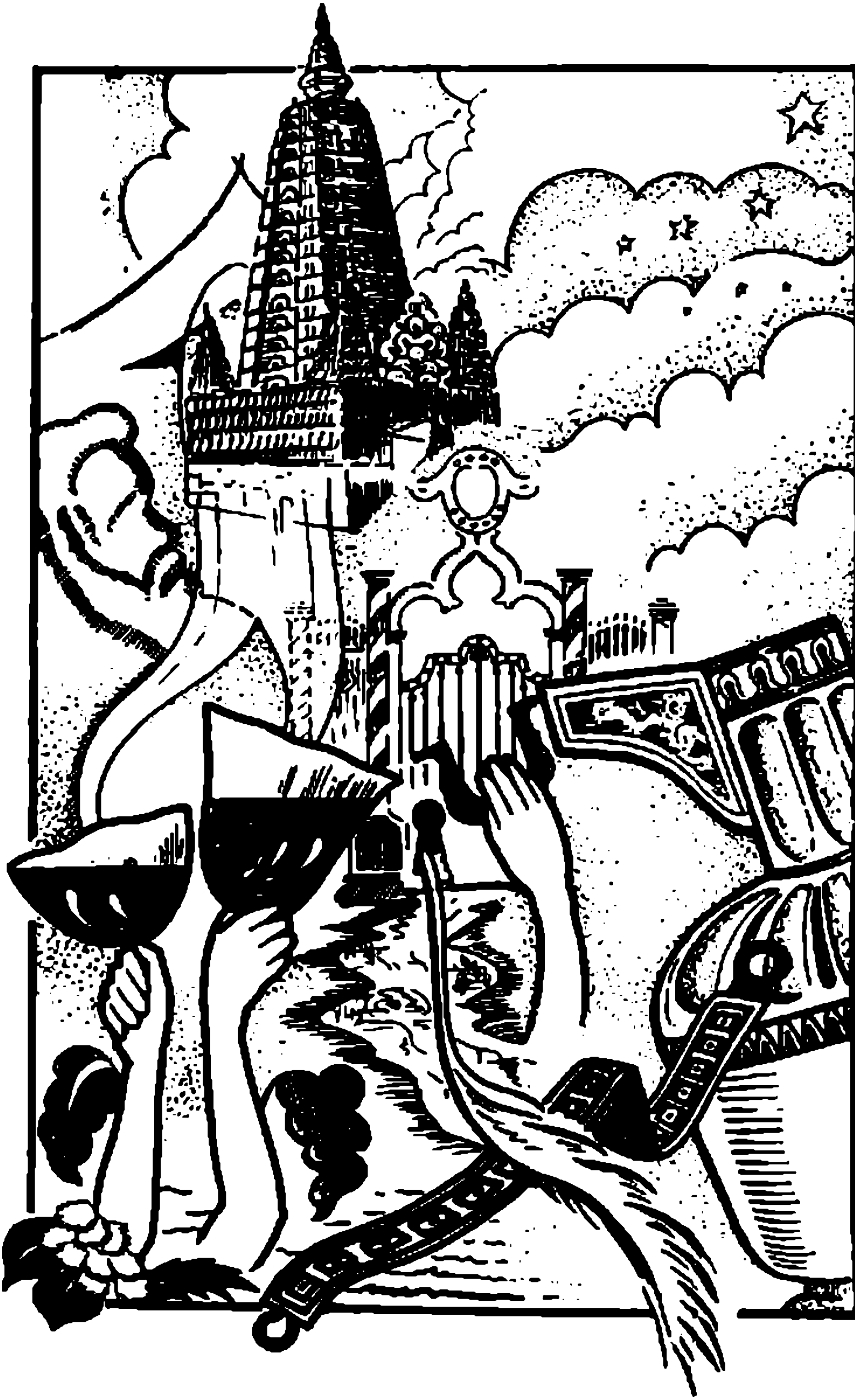
يا ندامى ! يا طرب ! يا طرب ! بعينه لا بعيني ، فما يراه سواه

وإذا عربدت الأعاة تطلب المزيد من الشراب رهنتُ ذاتي ، وأنت الشهيد ، عند خمار السماء

سُبّوح ! أنت موئل الكمال ، أنت في غنى عن حبنا الناقص ، فليكن ذكرك من تسابيح ملئك المجيد

شربتك لطفاً غنيّ الجناب ، وبأساً مليا بعزم الزمان .





٥ –

الشرح

طوّح به : ألقاه فى الهواء ، رمى به فى مهلكة

تفكّه منه : تعجّب

الشرعة : المورد

الوصيد : الضيّق ، المطبق

ابو يزيد البسطامى : متصوف توفى سنة ٢٦١ هـ

التأثر

دون النقد من حافظ مع التعديل

وحديث قدسى

وبيت للبسطامى

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الحاقة

لستُ أعرف ما سمع السوسن المطلول من طائر الصباح ، أما أنا فسمعته يردّد : « هو هو »

فارفع ـ يا جميل ! ـ حجابك عن وجهك ، لأتلوّى كعود البخور على المجمرة ، وأزجو سنىً الحكمة في فلك البيان :

النهر حثيث رتيب ، ويجد الماء ـ ولا يجد سواه ـ ما أسبغ على الضفاف من حياة ومن نعيم .

طوبى الرضى : رضى الضمير لأولئك الصفوة البررة الراضين في جحيم الحياة

قوافل الأعمار عرضة لكمين الأيام ، ولئن سلمت ـ وهيهات ـ فالك في النهاية الكمين الأعظم



وادى الصامتين غنىُّ الجناب ، سنىُّ الرجاء سكوته بيان ، وربَّ سكوت أبلغ من كلام

ذاريات الرياح تعبث برأس الزمان، وتطوّح بهامته الحالمة بندى الحياة

تاريخ الدنيا رفات الأحلام فى مقبرة النسيان : يبتدئ فى التراب ، وينتهى فى التراب

سكنت قبل الزمان ضمير سدفة الغيب ، وموئلى بعده حنان هذا الضمير

سيفض الزمان اختام بلى عظامى ، وتعرف الشام : أىّ نابغة ذكت من مطلع الفجر حتى غروب الحياة

لا تشكُ دهرك ، لقد طُبعتَ على غير سَننه ، وحسبك عنده منار العلم ، وعطر النُّبل جريرة وذنبا

أما سمعت النداء القدسى ؟ : لا يسعنى أرضى ولا سمائى ، ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن



أصحاب القلوب يشكون من قسوة القلوب ، ووتر النجوم يسكب في مسمع مريوب السماء حرارة المجد ، وبرد الفناء

الحكماء رواد شرعة الغيوب ، ومركز دائرة العالم، لكنهم عطشى أبداً، ودائرو الرءوس في هذه الدائرة

معبد الأصنام والكعبة سيّان ، إذا لم يُرفع في جوانب النفس معبد الرَّشد والطُّهر

سأرفع رأسي عن دنيا الوضيع في شمم وكبرياء ، وسأكون في شممي وكبريائي مجيداً في جنة نفسي

هــــدية الروح من يد الطهر تسلمتها ، وسأردها نقية ، لا رَيْن ، كلا ، ولا تأثيم

لا زهو ، يا نفس ! ولستُ بزاه ، وأيّ زهو لقطرة نثرها الموج الى صخرة ، وما كادت تشعر بالوجود ، حتى لحقت بالسحاب ؟

أتناول كسرة الخبز اليابسة من مائدتي ، مبللة بدموعي ، ولكم دعوت جبريل اليها ، فلبّى ، ولزّنا دفء الوداد

قالتْ لي ، أيها اليمام الذاكر ، نرسل أغاريدنا من معبد الحب قبلاتٍ تحيةً في جبين الله

هلمَّ ، يا عابد النور ! يا صداح الصباح ! نناجي ملكوت النور بألفاظ من نور

مظلم حقاً ذلك القلب الوحيد : لا تتقد فيه شموع الحب

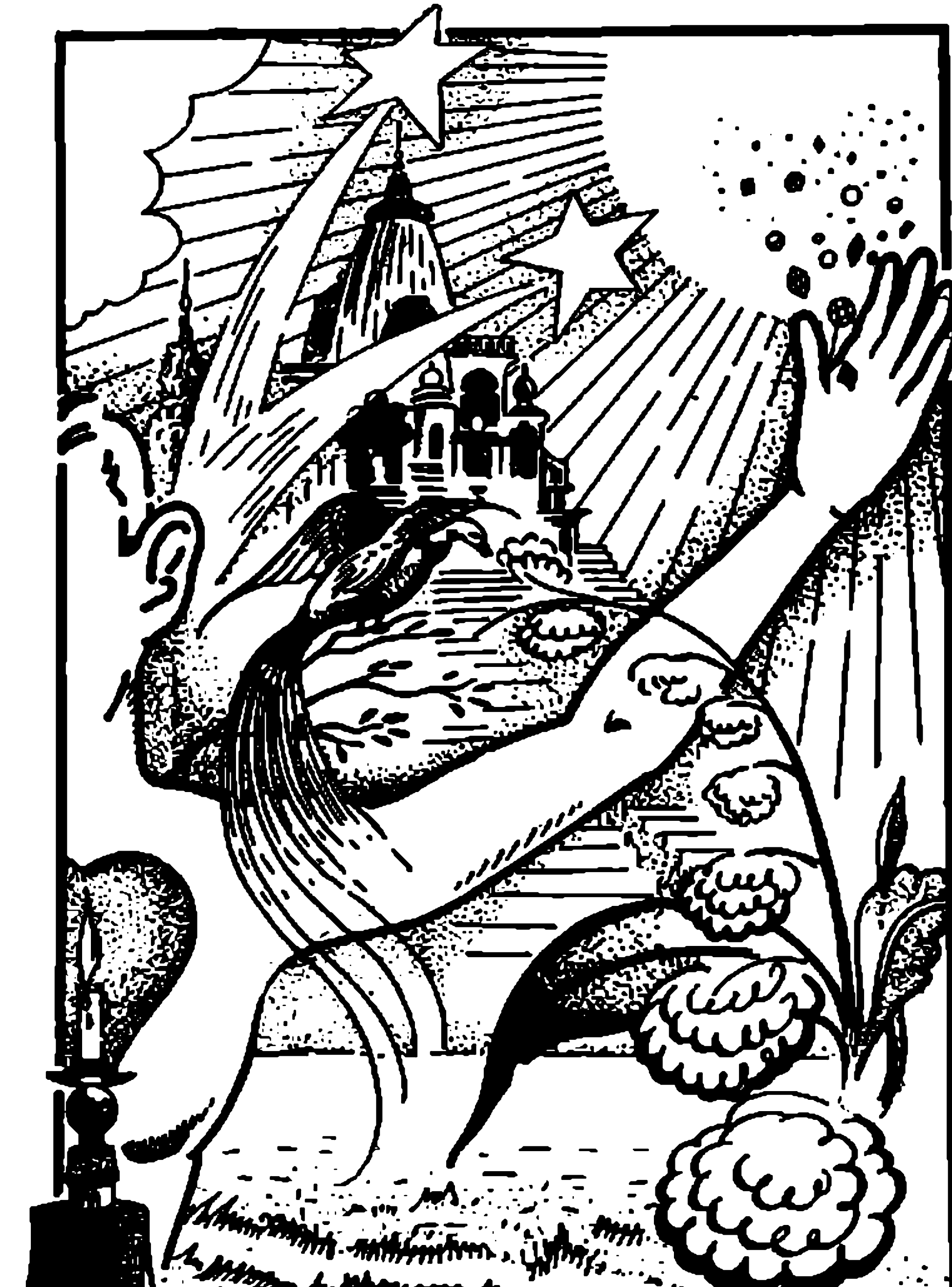
هلمَّ إلى كهف يضحك فيه النور : خمر النور : خمر أم النور ، ولنستمع إلى نشيد أبي يزيد :

شربتُ الحبَّ كأساً بعد كأسٍ
فما نفد الشراب ، وما رويتُ

هو ! هو ! سل خطى الحلم الضحوك ، سل كرمة الدهر المتون : أين انتهى بجناحي المطاف ؟







الشرح

الرَّدهة : البيت الذي لا أعظم منه

مُحلَّب الفم : سال بالريق

الهَينوم : كلام لا يُفهم

الشَّرب : القوم يجتمعون على الشراب

الثاقب : المتقد ، كأنه يثقب الظلمة ، فينفذ فيها

الثأر

خدق من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الذكرى

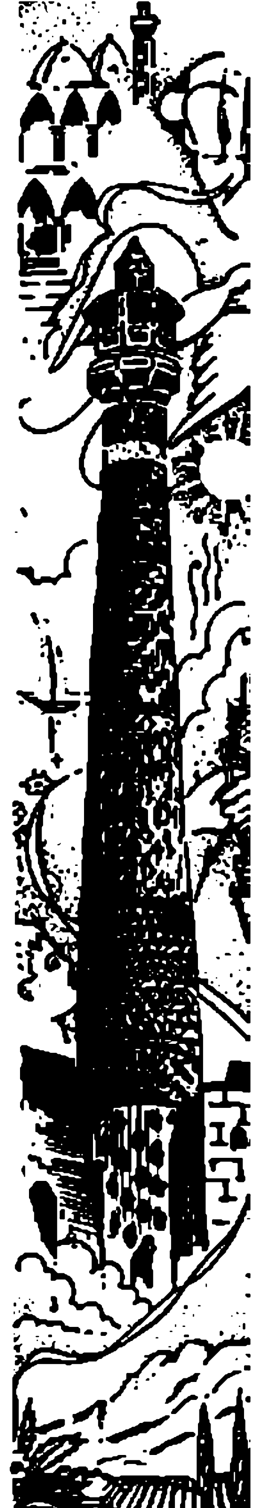
فى دجى النور ، وعلى قطرات الطلّ ،
زرعتُ حبةَ روحى بيدى فى حقل الوجود

ونصبتُ مصباح عينىَّ فى مهابِّ تحتضر
النسيم يرقب مواكب الجلال على صباح موردَّد

وتساقينا الهوى ، وتناءت الأرواح فى
تزحمة العرش المطلّى ، ورفرفت راية الرحمة
تخلجات الإيمان

وأطلّت طيوف الذكريات من كوة القبة ،
تهزّ حواشى الآفاق ، بأصداء السعادة

حواشى الآفاق مكتبة فى تجاوب الألوان
تعجب ، وتقها الموشّى الأعظم على من تقيفَ
لفة النور



ألوان الزغاريد السبعة : زغاريد مواكب
النور تطفو على صدر الماء

وزغرودة البحر الدامى ندّت ، وراحت
تكرع الراح ، وتعربد عبر حانات سيل

سيدور الفلك ويدور ، وسيلد كثيراً من
الأيام ، لكنه أبداً يظل صامتاً ، لا يفضى بما
لدينا من الأسرار

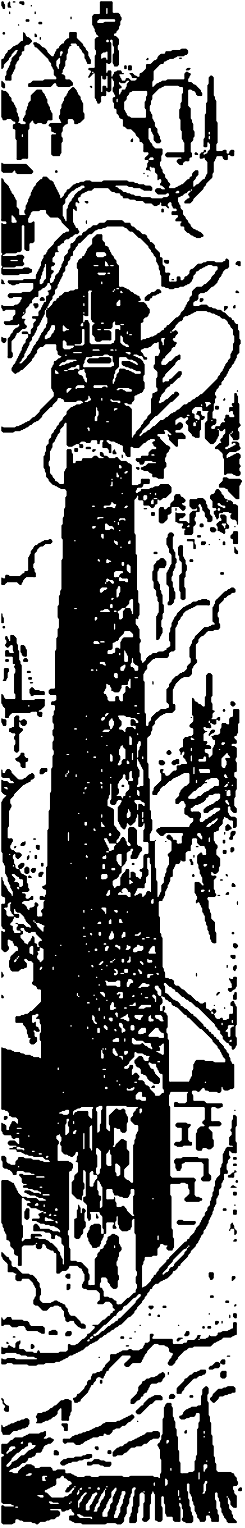
أويتُ إلى ظلال دوحة نفسى ، أصبّ في
ورقها مواجيدى آهات تموّج بها بحر الهواء

فلأزج إذن خيول الخيال في ميدان عظمة
الحبيب الرحيب

ولأدق بيد القلب طبول تمجيد جماله على
شرفات العرش

فنانُ خيالى ربّا بصورته ، ومشام روحى
نديّة بروح الزنبق من طرته

يا سعد من حضر المقام ! يا سعد من شرب
المدام ! يا سعده ! يا سعده !



ذلكم منذ نقشت في إنسان عيني جلاله ،
وحررت في مصنع تصوري كماله

ولقد آليت أن انتصب حارساً على حرم
قلبي ، لأصون كنز خيالي

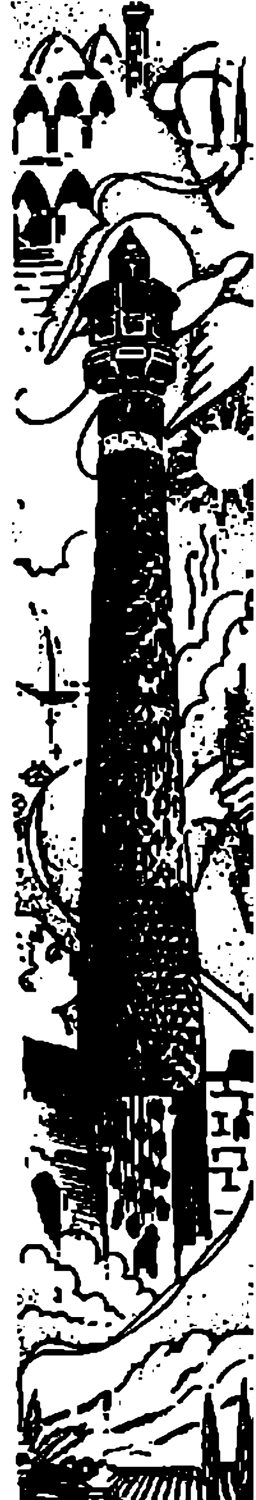
في الجو الناغم الحالم يستحم شعري ،
وترتمي دليه سجف ظليم الظـــلال ، ثم يمضي
مواكب مواكب من إبداع إلى مفاوز القلوب

فدعك لا توقظ حافظاً من هناة أحلامه ،
فإن له في دفئها خلوة وادعة

ومنذ ان مشط البشر رموس الكلام ، لم
يكن يجسور احد أن تنجاب له سجف غيب
الغيوب ، كما انجابت له

دعه وحده يجوب طوايا الوجود ، فشمس
نفسه لا كالشموس ، وأرهف السمع إلى هينوم
نايه يتنزل على طور قلبك قبس التجلي

يا شاعر الله ! يا صرخة الحق ! حفيف
آذان قلبك لكتاب الخشوع في معبد الحب



فبرداً لك ، ياحافظ ! وبرداً لقلبك السعيد يتحلّب بالرحيق ، ويقطر نور الرحمة من منقاره الغرد

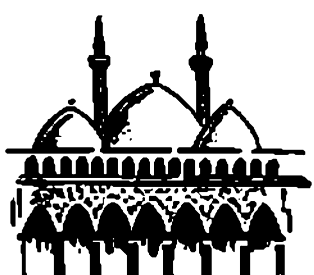
شربتُ خمر الأزل ، فغبتُ عن العيان ، وامّحت من لوح قلبي كل الصور ، إلا صورة « هو » الحوراء .

صلّوا عليّ ، يا سكارى ! عندما تلفظ شفتاي ومضة الروح ، كما تلفظ لألاءة الراح غياهبُ الدنان

ستظلُّ عيني في اللحد متشكلاً لخيال الحبيب ، وسيكون قبري مُحجّ شربي الياسمين

قدّوس ! أنّى لناسوت الثلغى أن يجلّى لاهوت معناك الثاقب

قدّوس ! برمتُ بذرعه أداء الصوت ، فلتكن لغاي هدير الإشعاع : إشعاع الصمت في فلك الطلوع .





الشرح

وصيد الدار : فناؤها
الطنف : إفريز الحائط ، وما أشرف خارجاً عن البناء
الرَوشَن : الكوّة
جلال الدين الرومي : مؤسس المولوية ، فارسي الأصل ، توفي في قونيه سنة ٦٧٢ هـ
أبو سعيد بن أبي الخير : صوفي فارسي مؤسس الشعر الغرامي الالهي ، عاش في القرن ٤ هـ
حبّة الشعير : يراد بها الجرعة من الخمر ، لأن بعض انواعها يستخرج منه

المآثر

غدق من حافظ مع التعديل
وجملة من البسطامي مع التعديل
وأربع جمل من جلال الدين الرومي مع التعديل
وجملة واحدة من أبي سعيد مع التعديل
وسائرها لصاحب الكتاب



سورة السواجى

هبطتُ هـذا الملعب ، فوجدتُنى غريباً وحيداً . ربّاه ! أين هواة كرة الكرامـــة والاحسان ؟

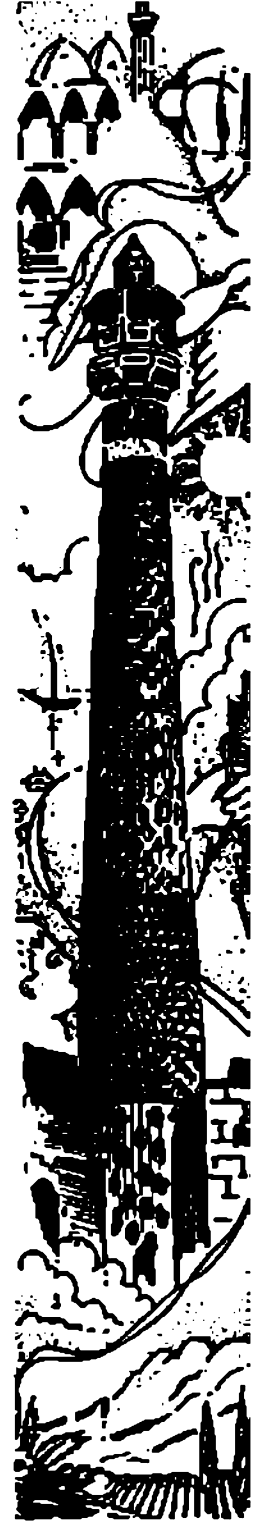
طغى الطوفان : طوفان الجلوتى ، وجرفت سيوله منزلى ، إلا قصر احلامى الحافل بهالات الفتون

انسلختُ من نفسى ، كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرتُ فاذا انا هو

ارتضيت عزلتى ، كما ارتضاهـا البركار يدور حول محيطه ، لكن القـدر سيجعلنى فى النهاية مركز الدائرة

الدنيا عامرة بالخراب ، وكلّ ما فيها قبض الريح ، فارفع أذيالك إمّا مررت

نورج الزمان يطأ ـ غيرَ وانٍ ـ اغـلاف الشرر ، ويذروها رمياً هامداً فى مهاب الفناء



والشرر الشرر يترامى كالسهم ، بل أخطف
حاملاً امانيــه الى حضن الأمومة : إلى
بحر النار

ويموّج بحر الهواء : هيمــة ونحيب من فم
الغلاف ، وهلهلة وزغاريد من فم الشرر

فاجلس معي على حافة النهر الجاري ،
وارقب عبور العمر الساري ، وردّد : ليس
في حقول الدنيا حبوب الهناء

قد تؤذي الأشواك ، يا رخيّ البال ! لكنّ
بهيج الورد يلتمس لها الأعذار

تلكم الدار دار الغرام ، أرضها ، وصعيدها ،
طنفها ، وروشنها : كلها شعر وألحان

قلم النور يرسم أبداً معالمها ، أين من يجد
السبيل إليها ؟ إنه سلطان الزمان

وهذا الوسيم يخطر في أبهائها ، حدّث
الصبح وقال : رأيتــه يطــوي غاشية الليل
سكرا



أطلْ من شرفتك علينا ، أيها السكران
الجميل : فان فى خدك النضير أمارة اليُمن
والاقبال

ها قد تجلّى وجه الحبيب بين طيات
النجوم، فمددتُ اليه قبلاتى من بعيد ، وانثالت
تموجُ بالشهوة الظمأى

قوافل السحر تمشى رخيّة وراء سواجى
عيون الحبيب : وقدِ الفتوة ، وتصفيقة النور

شفتاك الطهور حانة الرحيق . لا تلمنى ،
أيليق مرير الكلام بحلاوة الشفاه ؟

مشى الزهد منى ـ يا سؤل قلبى الأواه :ـ
فى ركاب السمر ، فابسط رضاك على مفارق
روحى كما بسط اليها فلقُ الصباح

ضمّنى إلى أحضانك ، كما تضمّ العود ، وهات
هذه الاماء تناغم شفتى ، كما تناغم الناى

قليلاً من الزهو ، أيتها السماء ! فبيدر قمرك
لا يعدل حبة شعير ، وعقد ثرياك قد يُشرى
بالحبتين



في قريتك تبذل الروح بحبة شعير ، كلا ،
بل هذه الحبّة من وصالك تزن عالماً كاملا

إن تاج العربدة لا يؤتاه إلا فكِه الطباع ،
سنيّ المواهب ، ذو الشرر والأوضاح

أدرجوا إذن زجاجة الخمر طيّ أكفاني ،
فبجاهها أفيء إلى ظلةٍ يرقص فيها الضيـــاء ،
وبجاهها أنال شفاعتي

وإذا حرمونا غداً جنة عدن ، أثرناها فتنة
هوجاء ، وحوّلنا مجرى الكوثر ، وسبينا الحور
والولدان

ورفضنا وراء اقليم الأثير جنتنا المثلى ، وفيها
- الى ما فيها - نهر الشهوة : شهوة وصال جمال الله

حليم ! نحن الذرات الرعشة بين يديك ،
نصبو اليك ، ونعلم انك تعلم مرامينا ، انك انت
علام الغيوب .





الشَّرح

الصّباح : الظلام الجميل

الشهرزوري عبدالله : صوفي توفي سنة ٥١١ هـ

سلطان العاشقين : ابن الفارض الشاعر الصوفي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ

المنهَل : الرقيق

النـاثر

دون الندق من حافظ مع التعديل

وبيت للشهرزوري

وبيتان لمحيي الدين بن عربي

وبيتان لابن الفارض

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الزوابع

شعرتُ الفجر دبيب النور من هالة صميتى
المظللة بسنابل الطيب الوفور

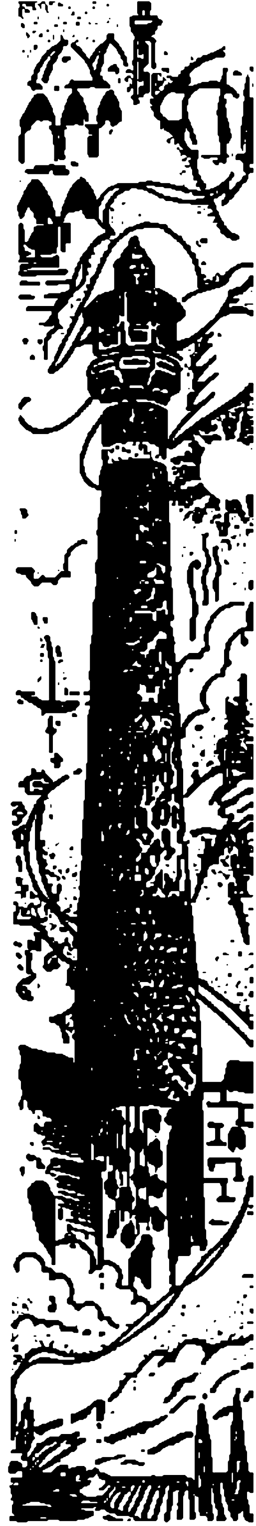
والخال منها فى لفائف الطرّة خطة المداد
فى عرافة الجبين

فاطلع علىّ ، يا صباح الرضى ! واسمعنى من
منبر الزمان أرغنَ السماء

أسمعنى الزُهرة توقّع على قيثارها معزوفة
الولاء ، فيعيد الملأ الأعلى

يا صبوة ! يا صباح ! يا صبىّ ! يا كاتب
أسرار الغيب بقلم الارادة ! هات لى بنت الامانى
وهلمّ نتناغم

عجبٌ ! يا عجب ! يا رب ! ضمّنى ، ثم
عنى ، نحن فى وادى الهدى ، نحن فى وادى
الصلاح



قلتَ لي ، يا حبيبي ! : سأسكر ، سأنسى ،
ولك مني قبلتان

ستسكر ، سلني : كيف ؟ وأنت سكير
الزمان ؟ قبلتان : يا لوعتي ! يا ضناي !

قبلتان : ما العدد ؟ السكارى يكرعون ،
يلطفون دون عدّ ، دون حدّ

أقامر في غرامي براسي وقلبي ، عالماً أن
شعرتين ماجنتين لا تتناغيان بنفثة شعر

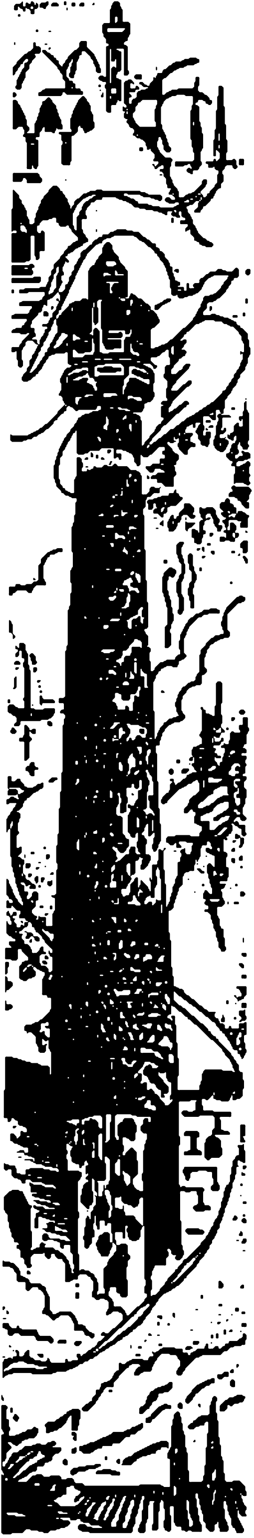
ها هوذا سائق الأظعان يحدو ، وها هوذا
هودج ليلى يتهادى على رفيف الأغاني

لمع في محراب الجمال صوت أيقظ النجوم :

لمت نارهم ، وقد عسعس اللي
ل ، وملّ الحادي ، وحار الدليل

زفرة الروح هذي ، لا زفرة الجسد ،
تتراءى اصداؤها الفنّ في صومعة القلوب

للفنّ ، للفنّ ، أكتب الهواء ! هذه الأصداء
الفنّ ، وانثرها هياما مجيدا على اعتاب الحبيب



يا كيمياء العزّ ! يا واهب الشوكة لعطارد !

يا آماويه المنهج ! نهنه عينى العبرَى

أمرعَ القحط: قحط الكرم ، ومائدة الزمان

لم تظفرنى بلقمة سائغة

مَه . يا حافظ ! يا آماد الرجاء ! وهل يأبه

لمحيط العذاب من جعل مدار الحياة فى نقطة فم

الحبيب ؟

أما وعيت إشارة الشيخ الأكبر ؟ :

مدت موائده حولى ، وطلعته

ترنو إلىّ ، وقد غابت عن اللاهى

وليتى هـــذه الدنيا بأجمعها

وكلهـا صورة من صورة الله

غيرك ـ يا دنيا ! ـ يفهم مدلول دنيـانا ،

دنيـانا ملكوت الكـون عـبر حـدود

اللاحدود

حيث الطرب ، ملء الأرب

حيث نَرود غَوْر الوجـود

وحيث لا حيث إلا السنا



سأرسل في الأجواء دَرداب طبول العهد
الجديد متى رقيتُ سطح السعادة

وسأنشد مع سلطان العاشقين :

وبتنا كما شاء اقتراحي على المنى
أرى الملكَ ملكي والزمانَ غلامي

وسترتقي الحال بي ، فأردد بحق قوله :

وبي موقفي ، لا بل إليَّ توجهي ،
كذاك صلاتي لي ، ومنيَّ كعبتي

وستروي أنهار هناي رياض النفوس ، ويلفني
وضيئي وشاح الطهر

ولسوف يحمل قلبي إلى أطباق الثرى أطباق
النور ، وهلهل الشعر ، ووسم الغرام .





- ٩ -

الشَّرح

الرَّنْد : شجر طيب الرائحة ، وربما سمى العود يتبخر به رندا

رفاف مناغم عندمّة : أسراب من طيور الغناء الالهى

الأمنواج : جمع المنعرَج : منعطف الوادى

إياز : غلام تركى ، كان يهيم به السلطان محمود الغزنوى : مؤسس الدولة الغزنوية

الهنهنة : فى الأصل صوت الماء ، ويراد بها تردُّد النفس

خُتَن : إقليم فى بلاد التتر ، اشتهرت ظباؤه بالمسك الأذفر

الشَّذُر : الناعم

الثأر

دون الندق من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



صورة إياز

باسم الله يجري سفينتي في بحر المدام ،
وباسم الله مرساها في شاطئ السلام

هبت نسمات الرحمة مسيحية الأنفاس ،
تؤذن أن موسم الطرب قد حان

فهاتها ، يا حنون ! رطل مناغم عندية ،
ساحرة السقيا ، تهيم في أضواج القلوب

دعنا نطرب ، ونغني ، ونرقص ، ونطوح
بالرءوس ، ونضرب بالأكف والأقدام

وليراقص نثار الأغاني نثار الجمال ، فما
أمتع وجه إياز يتهادى بين علوي النغم

غص المرقص بزاهر العيون ، تهل الرفاه
والنعيم من مستعد الوجود



هذى عين الزُهرة تواكب عينى ، وبعدها
يـدها . اسمها اسمها معى تنشج راغـداً ،
وتقول :

واظما قلباه ! وا حنى غساه ! يا هنا كبداه !
يا بَرْدَ الانس على روحاه !

إياز ! يا معبود السلطـــان ! من ذا الذى
يلتقف منك كرة الملاحة ؟

اجعل حبة الخال طعماً فى ثنايا طرتك ،
فما أكثر ما تتزاحم طيور العقل عليها

إياز ! ياذا الألف اللينة المهموزة ! إن غاية
النفوس الجميلة أن تعب من حوض الجمال

أمل القلنسوة على راسك . نعم : هكذا ،
ثم احبك القميص على جسدك ، يا نور عين
السكارى !

يا هناى ! يا هناى ! يا أصحاب الخلوة !
يا مجمر نوافج المسك ! بشراكم بمقدم غزال
من صحارى ختن



يا رَند الحِمى ! يا ورد الضحى ! يا زاد
الغرام ! يا ينبوع الحلاوة ! إنّ عرش عزتي في
تراب اعتابك

يا مُنى روحي ! جُويتُ ، وأنا أتنوّر شمعة
تركستان ، فهل يلفتنا الوصال ، وتتلظّى الشهوة
على جمر الشفاه ؟

حلال لقلبي أن يقبّل درج العقيق النضيد
الذي انضوت عليه شفتاك

إيّاز ! يا أرجوحة الوطر ! يا مُهجة ظمأ
التلظّي ! يا فوّارة شواظ الماء ! جواهر عيوني
أنثرها على مدرج صبوتك

أغيَد ! يا أغيد ! يا غُندُر ! شربت شعر
أنسامك في قدح الشروق ، فلسطات ظلال
رؤاي

من أيّ الجواهر - يا نعمة العين ! -
رُكّبت مرآة حسنك ؟ فإن لهب آماقي لم
تصهرها

يماث لهب آهاتي في أمواج الشمع منها : نار
او نور ترامى على متوسد النار والنور

ساد الطرب ، رقص اللهب ، يا للعجب !
كيف السبيل ؟

الله اكبر ، الله اكبر . إن الصلاة في
محراب حاجبك لا تجوز إلا أن يتوضأ بدم
القلب

فتعال ، يا جلوة ! واجل بسحر عينك
ظلمة الجوى ، لتفجر جنان النور ، فأطل منها
على صباح بهيج

تعال ، فخزانة الفؤاد تنثر تحت اقدامك
هالات الشعر ، وهافيات الأشواق

تعال ، تعال ، فقد أرسلت من عيني
وصيل سلسل النور رفيف مني ، وشعاع غرام
يقبل وسيم غرتك







الشرح

الحلاّج : ابن المنصور صوفي، قتل سنة ٣٠٩ هـ

أملود غَيْدان الشباب : غصن أول الشباب

زُمّت : شُدّت

رَفّ : هشّ

نورزنا : دخلنا في عيد النيروز

هوّدك مَسرد الشراب : أسكرك صِرفه

هصره : جذبه ، أماله

الطفل : النعومة

البَربَط : المِزهَر ، العود

الناشر

دون الشعر من حافظ مع التعديل

وثلاثة أبيات للحلاج

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة القدر

السّنا السّنا . زارنا الهوى ، هنيئا ، يارب !
هنيئا هنٌ هن

والرضى الرضى . طبّق الفضا ، ضمضما ،
يا هو ! ضمضمًا ضمٌ ضم

تباشير الأنس فى سرايا إياز ، إنه من إياز ،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم

اتكئن قامات الحسان عنيــة كالنون أمام
ألف إياز : أملود تغبدان الشباب

إياز ! ألق على هيكلى نظرتك الوديعة
الهيبة ، تشقّ طريقها من ثنايا طرّتك ،
لأضرب كرة الفلك بصولجانى السعيد

وعندما أبعث من مرقدى ، سيكون موقع
نظرتك هذى ميسم حبيك والتلاق



يا نسمة الوصال ! يا هبّة الاقبال ! مزّقت
جلبابي ، كما البرعمة ناغاها النسيم : حلال
انعقد

نورزنا ، نورزنا ، وأطلقنا عيدنا بالتجلي.
أما نامت نجوى ابن المنصور ؟ :

وحال به زُمّت ذرى السر ، فانثنت
الى منظر افناه عن كل منظر

إن : بلى ، فناسم منه معا :

حويتُ بكلي كلّ كلك ، يا قدسي !
تكاشفني ، حتى كأنك في نفسي
اقلب قلبي في سواك ، فلا ارى
سوى وحشتي منه ، وانت به انسي

زارني حبيبي ليلة امس ، ودنا من وسادتي ،
ورفّ ، ثم همس في اذني هينمة ناعمة

قال : هوّدك صرد الشراب ، يا يحيى !
قلت : أوّه ، قيد قبلة . وهممت ان احصره ،
فغاب عن مشهد الحس



ناديت : تعالَ تعالَ : كالنقطــة وسط الدائرة ، فدوّى هاتف الغيب : وماموقع حافظ في عالم الدائرة ؟

يا الأمل الوريق في غابة نفسي ! سأحفظ محبتي في قطر آخر بـبركار آخر ، فقد آنست في الطور نارا

يا ثمرة الرجاء ! ياطبق النور ! يا حانة الالهام
يا ليلة القدر ! سلام انت حتى مطلع الفجر

يا ليلة التجلي ! يا نهلة الرضى من غمر الليال ! سرى الشعر ، وفوح اللحن ، وروح المائنة ، غصت بها ذاكرة الزمن

يا جنة الأماني ! يا اشافي الكمد : عُد إليّ ، ورفّ لي ، وناجني

يا من اوتي عباب المهج ! يا من بطنفال بـه ملكوت العالم ! ناديني

ناديني بقبلات لقائك ، اسرع اليك جاريا على راسي ، باكيا : كالقلم



أحبك أحبك . صافح كلي بوأنا أحبك ، وتتوسد الكلمتان ذراع الشهوة تحت اغصان العفاف

الله ! وهل شربت المسامع احلى من نمير « وانا أحبك » : عطف الريّ على الأوام

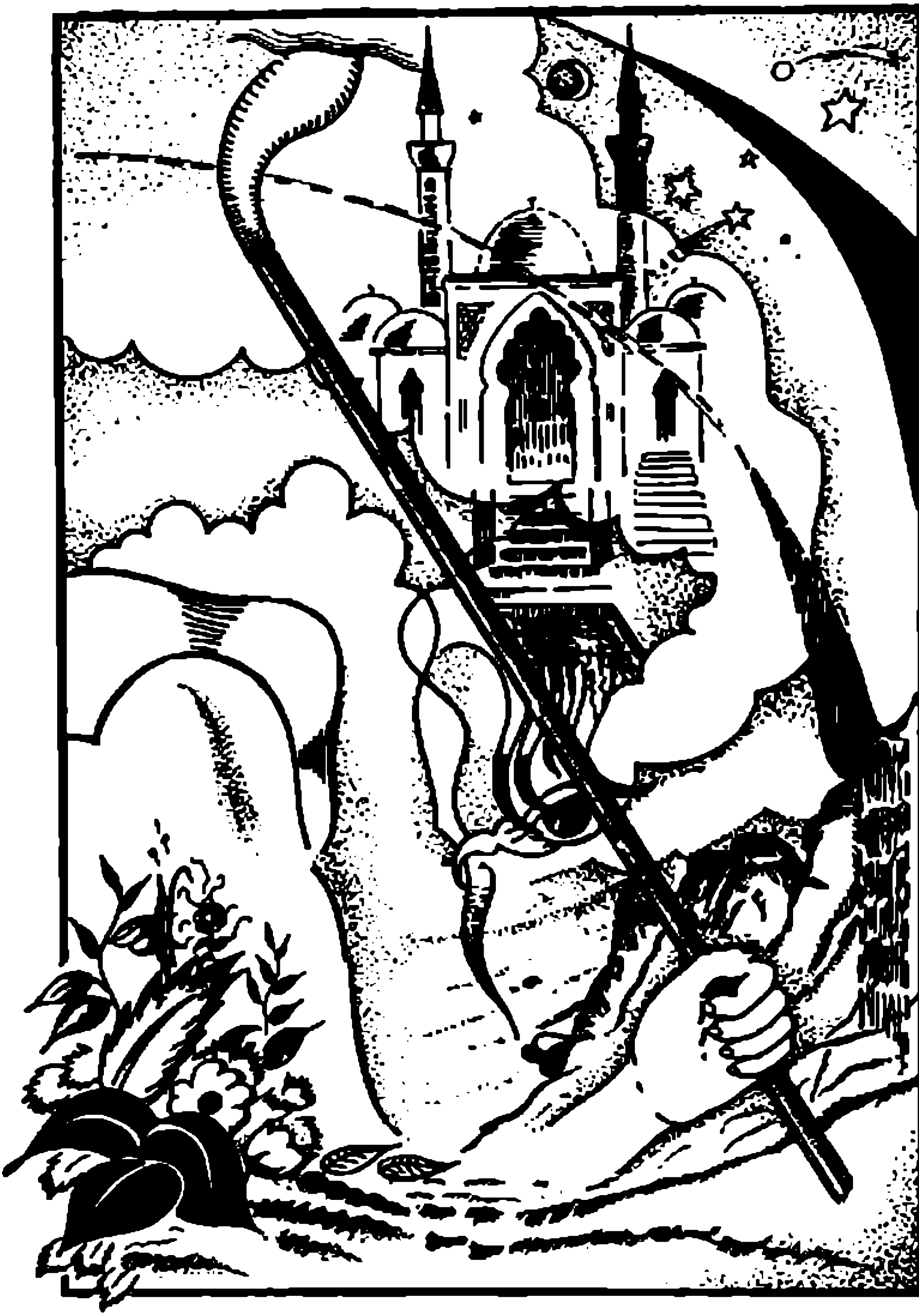
هذه الواو – تبارك من كوثرها ، وكنجم مذنب صورها – جناح رءوم ، يبسط الدفء والأمان والحنان

الواو جمع وضم وعطف ، وانقطها ناعم الدغدغات ، إنها قبلة الشفاه

سأمضي إلى صومعتي ، ومعي السرّ يبط الكأس ، وسأحسوها نهلة عندية ، مصفقة بخمر النغم

فاجعل ، يا رب ! موكب الطائف بزاملي قافلة حب ويرعاها .





- ١١ -

الشرح

الطلع : زهر ، أو هو شقائق النعمان

استروح : تشمم

مرآة الفلك : يراد بها الشمس

أناهيد : كوكب الزُهرة ، والزُهرة تمثل الانوثة والجمال

التأثر

دون الندق من حافظ مع التعديل

وجملتان من جلال الدين الرومى مع التعديل

وخمسة أبيات من ابن الفارض

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الجام

اطاولى الزمان، وسكن القلب فى طيات ذؤابتك، لأنه وجد فيها الظلمة الهائمة

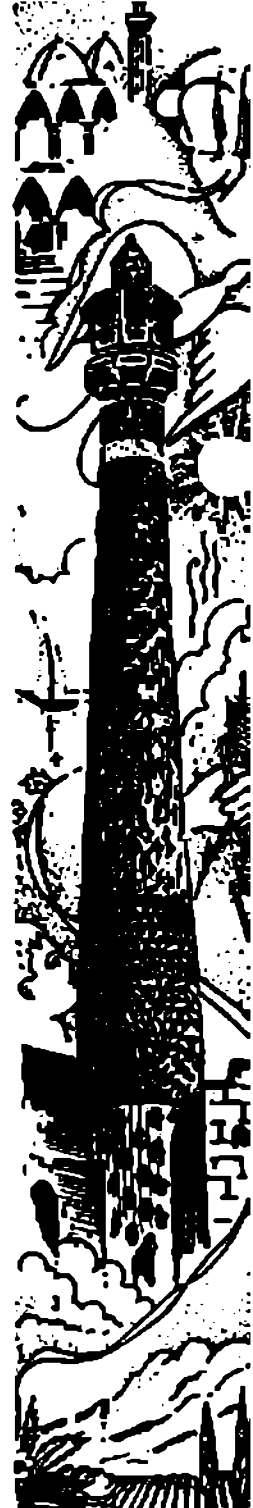
واستروحت زهيرات المنلع نفحة الخزر من أنسام الصباح، فكانت وحياً على قلبها

بحياة نضير رأسك ـ أيتها السروة! ـ لا تبعدى عن مرقد حافظ أقدامك البليلة

بشعرك ـ يا حافظ! ـ يرقص أتراك سمرقند وأهل كشمير: ذوو العيون السود

والبلبل الهيمان يستوحى أهازيجه من فيض الورد، ولولا هذا الفيض لما امتلأ منقاره بالأغاريد

ورد القرد، سلوى الكبد، فيض المدد. أين العيون؟ أين القلوب؟ يا سعد من شرب الجمال!



زغرد الناى ، وقال : كمين النغم فى نواتى قبل أن تُفترس ، صوتى نار لا هواء ، فلو ربما تـقى الحنان

شفّنى البعاد ، مذ نأى الناب . أين القلوب التى تيمها الوجد ؟ لأبثها سرّى الدفين

أسمعى قهقهة الجام عندما تتجاوب قبـاب الزوايا بأنين الرباب ، وحنين القيثار

أسمعى قهقهة الجام عندما يُبـدى الفلك مرآته من جيب الأفق ، فتجتلى العين ساحـة الأبداع

أسمعى قهقهة الجام عندما تفيض شمعة الحب على العالم بالصفو ، ورعشات الضياء

أسمعى قهقهة الجـــام عندما تشق تهاليل الطيور طريقها فى مزدحم الظـلال والأنوار والأطياف

أسمعى قهقهة الجام عندما تغنى أناشيـــد :

« يا عطر السحر ! يا حافظ ! »



اسمعى قهقهة الجام عندما يحـــدو الدرارى
سلطان العاشقين :

تراه إن غاب عنى كلّ جارحة
فى كلّ معنى لطيف رائق بهج :

فى نغمة العود ، والناى الرخيم إذا
تآلفا بين ألحـان من الهزج

وفى مسارح غزلان الخمائل ، فى
برد الأصائل ، والأصباح فى البلج

وفى مساقط أنداء الغمام على
بساط نور من الأزهار منتسج

وفى مساحب أذيال النسيم إذا
أهدى إلىّ سحيراً أطيب الأرج

وفى التثامى ثغر الكأس مرتشفاً

ريق المدامة ...

نعم . تراه ، تراه

فيا نسيمَ الوصال ! احمل إليَّ نفحة من ديار الحبيب ، لأشمَّ فيها رائحة قلبي

ألا رَعياً لتلك السويعات الغُرّ : سويعات اشعلت وجنتك شموع الأنس والطرب

وَسقياً لحفل اللطف والأدب ، لئن كانت ابنة الكرم تفترّ بسمات محيى النشاوى

ولتدُم ذكرى أن حكى ياقوت الجـام ، وبكى ، وكان بيني وبين ياقوت شفتك حكايات ودموع

حكايات الملاوى المفضية الى كهف حكمة الحب الرهيب ، ودموع الأزهار على شواطئ الأحلام الوضاء .



الشرح

أسيذ : محت من الأستاذ والتلميذ ، لمن هو هما معاً ـ وإن خلت منه المعاجم ـ

السدرة : شجرة عن يمين العرش ـ في ما يُزعم ـ

تلين الكلام : فهمه

المرحل : القدر

الأنبيق : من آنية التقطير عند أهل الكيمياء

الأسارير : جمع الأسرار : جمع السِرّ : الخط في الجبهة

التاثر

خدق من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الاسميذ

ابتسم الفجر ، وابتسمت له الوردة الحمراء ، ومضى البلبل يسقيها غزله

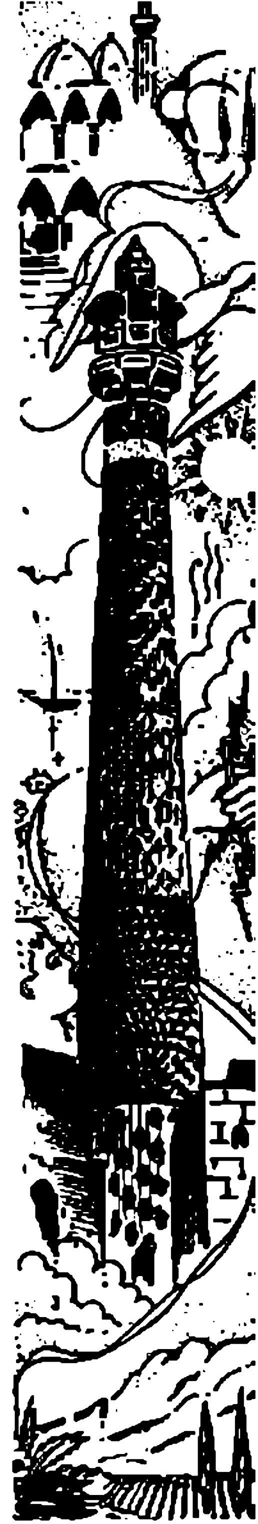
فهبّوا ايها الصوفيون : عبّاد الخمر : لقد نودي : حيّ على الصلاة

أنا الذي سكني وركن الحانة : مبعث الاشراق والتجلي

انا الذي بجوار شيخ المجوس من أوراد ضحاي وأماسيّ

الزُهرة والقمر في نادي النجوم ، تنشاها المهابة إذ يتلو طائر روحي من فوق السدرة قصيد غرامي

سكرت الصبية ، وسكر الصبي ، وأشارت العيون ، فانطلقا ، وأسدلا ستر المهابة عبر غابات السماء



اطلى اطلى ، عيونَ النجوم ! فثمة عين
حنان الاله

يا طـــير ! يا مرح الجنا
ن ! ويا مشاعر ناهـله !

هيَّجتَ فتيانـ النجـو
م ، ورفَّ رب القافـــله

لا حرم الله منقارك ـ ايتها البيضاء ! ـ من
رحيق الحب ، ونيدُم راسكِ أخضر نضيراً
أبد الزمان

بيضاء طيبي تهوى سُكّر الحبيب ولوزه ،
فتعهدها بالرعاية ، يا بائع السكر واللوز !

تعانقت أهازيج الدُّفّ والناى بالوضوح
الغامض من البيان ، فلحن الصوفيون الكلام ،
وإن خلا من الحروف

من مِرجَل صدرى تتقطّر دموعى ، وفى
إنبيق قلبى يد بلورية تسقينى الوضَح

ذبتُ مع الفجر ندىً : ندى دائماً حالاً
فى الضياء



لم يعلمني أستاذي إياز غير ألف قدّه ، فأنا المجلّي : استاذ الاساتذة في [illegible] الزملاء

يا نهرَ قلبي ! يا ظلومْ !
تُرِق المنا والقلب ظامى

أين الزمان ؟ سل الزمانْ
هل كان لي في المجد ثاني ؟

ومن ذا علّم إياز ؟ إياز خلق نفسه بنفسه ، وأستاذه منه وفيه ، وذرة من موسوعة علمه لا تحيط بها الظنون

لو قُدّر لكل شعرة نبتت على جسد أن يُركب فيها عقل حكيم ، لأخذتُ جميع العقول ورميت بها على أقدام إياز

أيكون لي ـ يا حبيبي ! ـ بعد صبري وأساي أن أشعل شموع الصين في محراب حاجبك ؟

أيكون لي ـ يا حبيبي ! ـ أن أنعم بفرح الخلود من خزانة عُلاب قلبك ؟

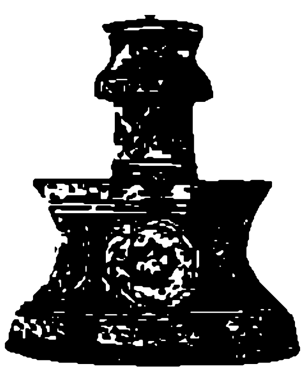
ماذا يضير لو أنى قطفتُ ثمرةً من مجانى بستانك ؟ ثم ماذا لو تظللتُ فى حرقتى بظلِّ سروتك ؟

نسمات الرياض – يا أيها الأصيد ! غادرت الورد والصفصاف حنيناً إلى عارضك وقامتك

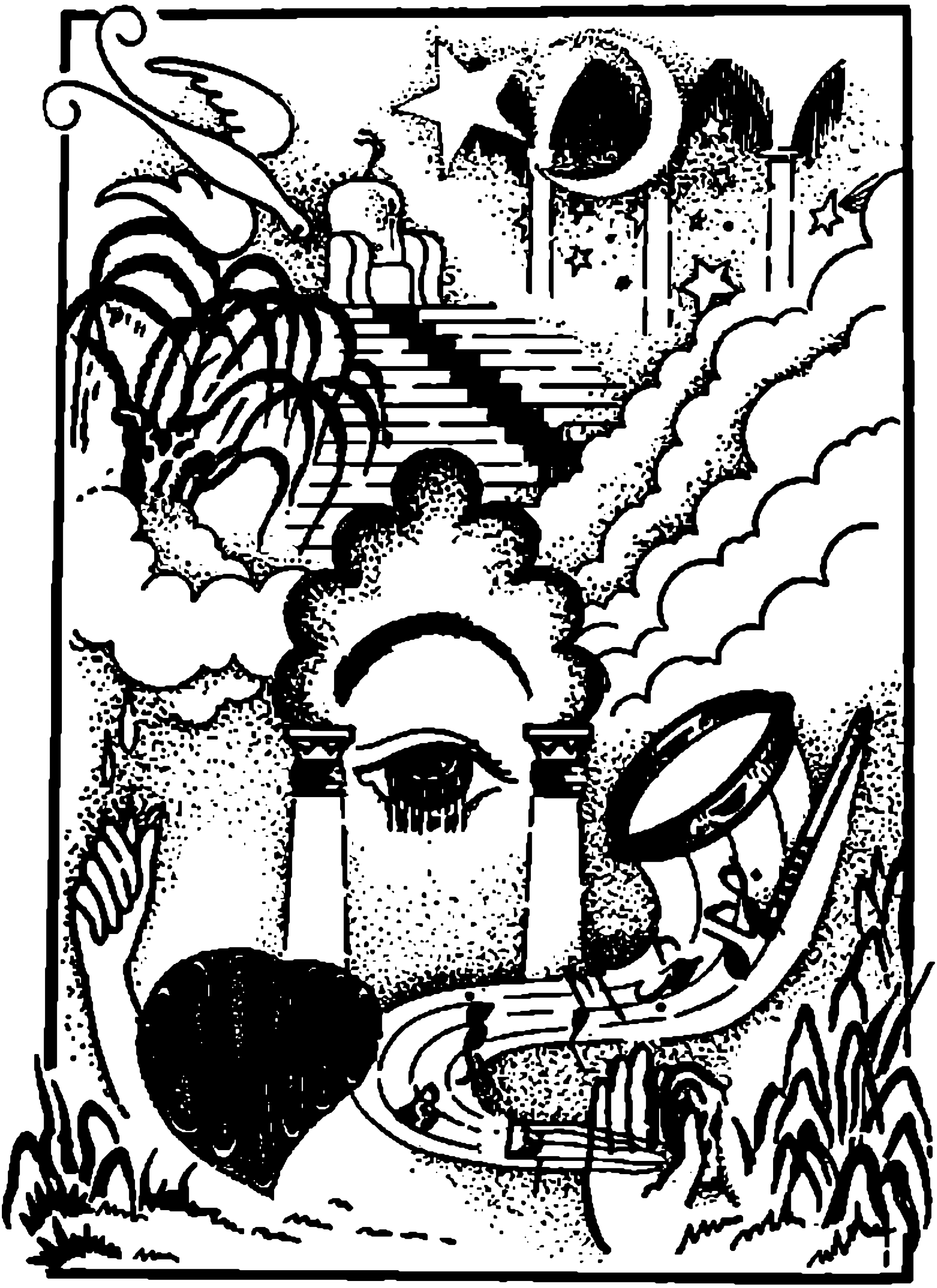
يا مصحف الخلود ! فى معبد الوجود ، رتّل سنىّ الآى ، فالركب فى حنين

يا هامش الكتاب ! يا جبين الحبيب ! جلّ لى غامض الأسارير فى ديباجة أخّاذ الجمال

إن رياض الجنة ، وظلال السدرة ، ورحيق الكوثر لا تعدل يقيناً موطئ أقدامك .







الشرح

النخب : الشربة العظيمة من الخمر وغيرها تشرب لصحة الحبيب او المشير

انماث الشيء : تحللت أجزاؤه في الماء

المم : الطعام في لغة الاطفال ـ وإن خلت منها المعاجم ـ

التعاشيب : القطع المتفرقة من العشب

المسجور : المملوء وقوداً

الثائر

دون النثر من حافظ مع التعديل

وجملة من جلال الدين الرومي مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة التعاشيب

انقطع الخيط ، وانتثرت حبات سبحتى ،
ومضرتى أن يدى تدغدغ بلور ساق الساق

حباتها من من إلى :
تحجـــل صفقات الحنان

تدهـــدى تدهـــدى
فالعجز فى الصندوق بان

لا كنت لى ، يا سبحتى
لا كنت لى مالئة الزمان

لا أزال أذكر ذلك اليوم : يوم الخليقة ،
إذ وقعت نقطة من مداد قلمك ، فكان ما كان ،
وجفّ القلم

كم تسافر الظنون إلى مجاهل النقطة، وتعود
لاهثة حيرى بعد أن تتيه فى ظلام النور ؟

دمّروا ، معشر الصوفيين الابرار ! قلوبنا
بالشراب ، واشربوا معي نخب العفاف

دم وزمن : دم العنقود والزمن المخمّر ،
بهذا أطفأنا جاهنا في دولة السكارى ، فشربنا
الدم والزمن

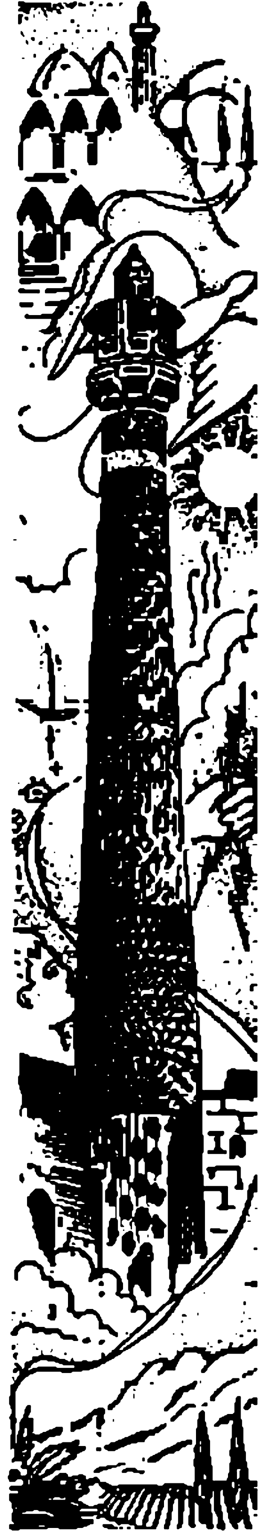
راحَ الزمن . يا طيبها !
من ذا الذي شربَ الزمن ؟

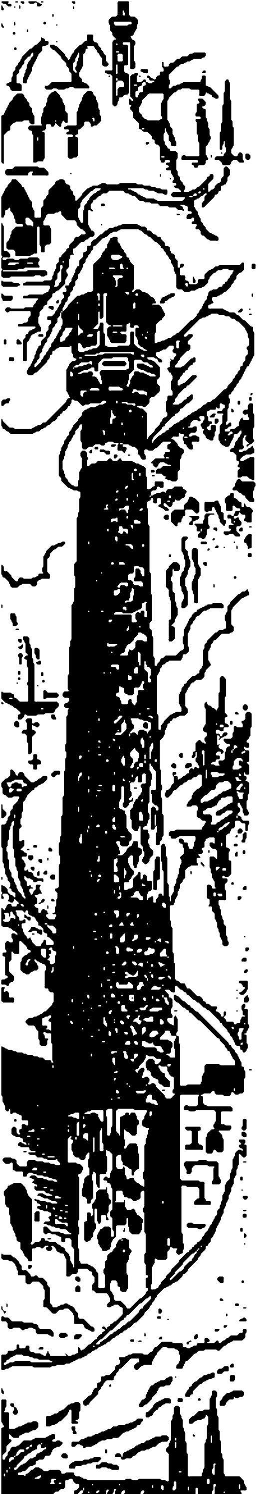
آلاف من أكداس العبادة لا تعدل
جرعة خمر ، فجدّدوا ـ أيها العباد ! ـ قبة
الكروم

رأيت مزرعة الفلك الاخضر ، ومنجل
الهلال الجديد ، فعلمت أنك زرّاع حصاد

على ياقوت شفتك يتعانق الماء والنار ، على
انها ظلوم : تصرخ بالشهوة : الشهوة الى السماء

ستطفئ الزوابع سُرُج النجوم ، وتصمت
عندها صرخات الضياء ، ونورك يشدو عمرَ
الأمد





نتاج معمل الزمان كله هباء ، فالمتعة المتعة
يا أولى الألباب !

فى معبد الحب الرهيب حوض دم موّار ،
ونهر دمع حرور ، واشلاء الشعر الراكع
تمدّد هنا وهناك

هذا وفى : فى معبد الحب العجيب تبيّن
اليئوس ، وصنع الزهر ، وتمّ درداب
الكفل

يا مجدهُ من معبدٍ
صلواته نورٌ ونارٌ

تفتّق نور الجلال عن نور التجلى ،
فكبرت الاقداح ، واشتعل الكون نضرة
ونميا

سبحوا للجمال حينما تجلّى ، فالجمال -
يا صحاب ! - ومضات قدسية عبثت من معين إياز

أىّ تمرٍ ؟ وأى طعام ؟ أىّ مذاق شهىّ
يجده فى ثمار الجنان من لم يقضم تفاحة ذقن
الحبيب ؟

قالت الشمس إذ رأت شامته الهندية :
يا ليتني كنت له من زنوج العبيد

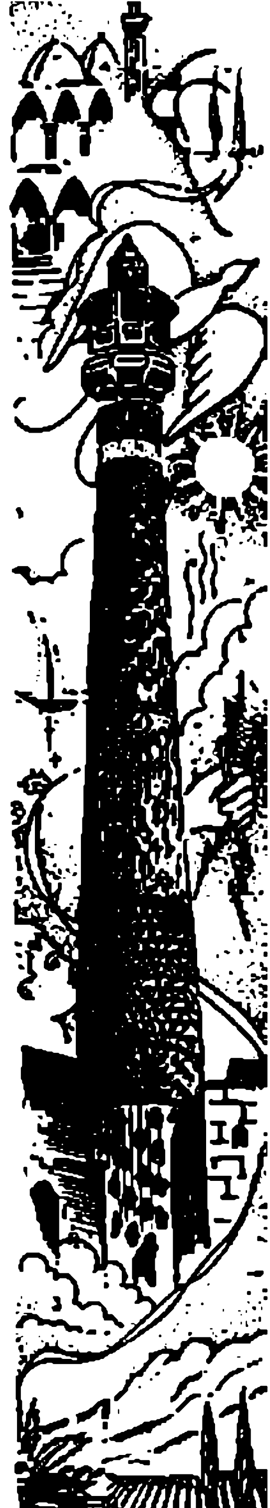
ومواكب الزهر الطروب تنثني على ايقاع
الانغام ، وتقول : طابت دورة الفلك ، فأديروا
كؤوس الذكر ، أيها المتوجدون !

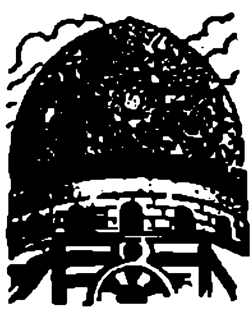
عطروا المشام بنفحة الكأس ، ففي شفتها
الباسمة إكسير الحياة

سراج الكأس ينير زوايا القلوب ، فتطل
على تعاشيب الأحلام

سنخترق ـ ونحن سكارى ـ هذا الفلك
المسحور ، ونرفع النقاب عن وجه الله

بديع ! ما كان لي ان اغمر وادي الحياة
بالسناء ، لو لم تكن على شفتي . فابداعي ، يا بديع !
هو منك واليك .







الشرح

الأوّاب : التائب

تمشّث المضجع : ايثّه

فرهاد : عاشق شيرين ، رمى بنفسه من قمة الجبل ، ومات ، حينما أرجفوا انها ماتت

شيرين : أي الحلو : محبوبة فرهاد ، وكان أحبها الملك خسرو برويز

الزّفرف : الشجر الناعم المسترسل

التأثر

فدق من حافظ مع التعديل

وجملة من الحلاج مع التعديل

وجملة من جلال الدين الرومي مع التعديل

وخمسة أبيات لمحي الدين بن عربي

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الحباب

الطلّ فى طريق التقوى بدماثتى وتمنجى،
فيغفو الملائك، ويرقص المسيح

وأنت - يا حافظ! - لا تقلّ عن الذرّة،
فلا تهبط، وطِر دائراً، راقصاً فى جوّ المحبة،
حتى تبلغ الشمس

دعونى وحدى أجذف سفينتى، ومعى
ديوان حافظ، فليس فى البحار ما يلفظ الدرّ
سواه

يا من تحمل الشمس مرآة جماله: لقد
تطهرت عيناى بالدموع، للطواف حول حرم
وجهك

وتطهرت شفتاى بالنار، لتنتشى ببرد
نسم الماء من اسمك الأجلّ الأعظم

جلجل في الآفاق رعد آهاتي زفرات
دوّت في مسمع الكون ، فاضطربت الأسماك ،
وذعرت الطيور ، والتفت الزمن

نوديتُ : صبراً ، يا حافظ ! يا أيها الأوّاب !
فخاتم الصبر لا يكون إلا في يد الصديقين
الأبرار

يا هنا نقشُ العيون ! رسم الشوق عليها
ومضة الروح الودود

يا هنا نقشُ القلوب ! طبع الحبّ عليها قبلة
النار البرود

يا هنا هيمُ الشفاه ! دمّث الوجد عليها
مضجع الأنس الشرود

تجرّد المحبوب عن كل قيد ، فلو تلبّس
بحال لازمه كيف ، ولو ظرفه زمان او مكان
اطاله متى وأين

نعم . تجرد عن كل قيد ، حتى قيد الاطلاق .
وأنّى لأسماك الظلمات : ظلمات الأعماق أن
تتصور ما وراء الماء ، وإن جمعتها الهيولا





أنى لنفثات النور هذى أن تعدو مرسوم
الحدود ، والا عشيت ، والتاث السبيل

حتى هنا وقف : هكذا يناديك الناموس ،
كلما حاولت اجتياز الحدود

عندما توضأت من نبع الحب غنى روحى
النداء من وراء الجدار ، فكبّرتُ اربع مرات
على كل موجود

فرهاد الرقّ يلهج بشفة شيرين ، ومجنون
عامر هام فى ليلاه ، أما حافظ فلثم الأزاهير فى
شفة الحب الشجراء

مضى قلب حافظ يوماً يتملّى هنيهة رفرف
الحبيب ، وبقى هناك حبيس الأبد

شربت روح الراح فى جسد الكأس ،
ورميت بقيتى ، فكانت على صفحة النهر حبابا ،
وتحولت إلى روح تهدر :

وجئتُ منه به إليه
فى مركب من سنىّ عزمى

نشرت فيه قلاع فكري
في لجة من خوفٍ علمي

هبّت عليه رياح شوق
لجة في البحر مرةٌ سهم

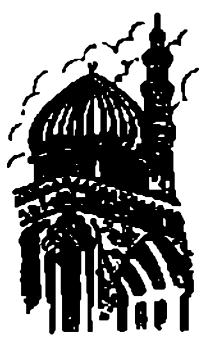
فجزت بحر الدنوّ حتى
ابصرت جهراً من لا أسمى

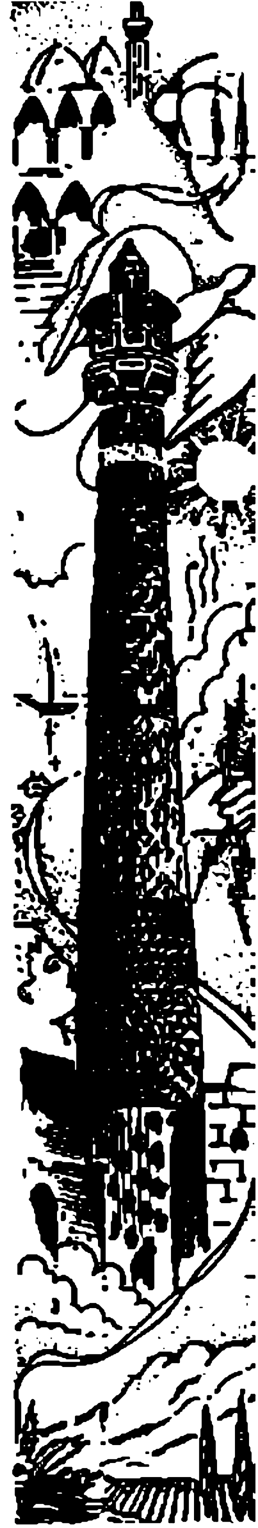
من أيّ العوالم - يا رباه ! - هذى
السلاف ؟ فليس في مناجم دنيانا معادنها

أشربني نارك ، وطهرني بنورك ، ووقني
زاوية جلواء من كرمة الاشراف

أرهف السمع أخرى إلى الصوت الزجيل
صوت الشيخ الأكبر :

مزجتْ روحك في روحي كما
تمزج الخمرة بالماء الزلال







الشرح

السندس : ضرب من رقيق الديباج

المنّ : الطلّ ينزل من السماء على شجر او حجر - كما زعموا - وينعقد عسلاً جافاً جفاف الصمغ ، ومنه منّ بني اسرائيل

الشمول : الخمر تعرض لريح الشمال لتبرد

النقل : ما يُتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوها

الشمشع : ما ابيض بكتيف

السدة : باب الدار ، والظلة فوقه

التأثر

شعر من حافظ مع التعديل
وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الأشواق

احترقتُ كالعود في نار الغربة ، ولما أبلغ
بعدُ شرفة قصر الوصال

واضطربتْ حمامة قلبي بين ضلوعي ، لأنها
رأت ثنايا الشباك منصوبة في كل مطار

وانهلَّ مدرار دمعي شفقيَّ اللون ، وما
أومض برق الرجاء

جبتُ الآفاق أسأل عن أشواقي آلامي ،
فألفيتُ آسي الهوى سكران : لا يعي

سكران ، والصوت ذوي ، يغزل سندس
الأحلام ، ويقضم منَّ الأماني

فسكرتُ سكري ، وذوى صوتي ، ومضينا
إلى لغة الاشارة

المَغزْل يغزل ، والقضم يقضم ، واختلت اليد عن : « ما شكانك ؟ » تنثني بها فسك السبابة والأبهام

فتمتمتْ عيني العيون ، بالطباقة فاتر الجفون : « أنا والله »

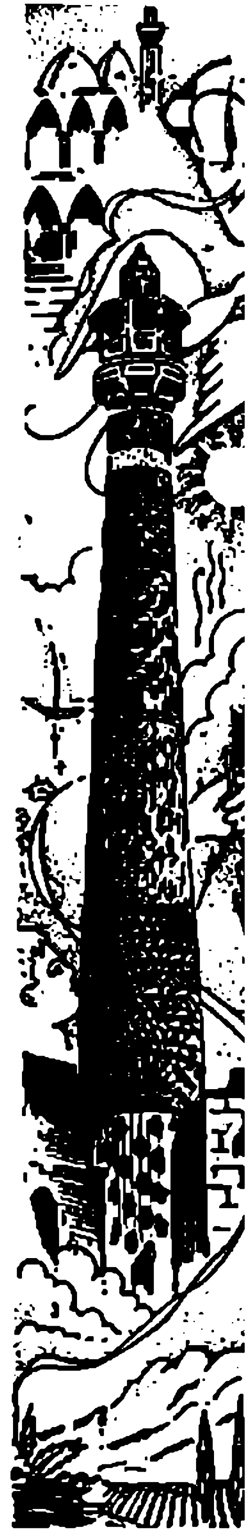
وارتفع الصدر الزافر ، ما وسعه ان يرتفع ، وارتدّ عن زاوية تقول : « وولهي من الأعماق »

وتموّج الجبين باشراقة شحوب الغروب وتمتم : « أنا نور معذّب »

وحاولت الشفتان أن ترسما : « وبواكب عذابي لاعس الامل » ، ولم تفلحا

فقهقهت الدمعة في فم عين الآسي ، وانحلت عقدته ، ومضى يقول :

بادر الشمول ، يا أخا الوجد ! كلما أطلت البلوى ، فأطلال الاشاق رهين مسكرة الزمان





التردد إلى أعتاب الحانة طلّسم السعود ،
واكسير غريب ، يجعل تراب النفس ذهبا

أما سمعتَ الحكمة تقول : ما وعى سرّى
سوى شرب أفلاطون ، لأن رضاع شعشع
الخمر أقدم الوعى ؟

ها أقبل الحبيب الى دير المجوس : دير الهوى
والتجلى ، فى عمقة ندية بالنور

فالصبوح ، يا غلام ! وليكن نقلنا من ثمار
الشفاه ، ولنكن بعدها فى النعيم فاكهين

فتعال ، يا شيرين الزمان : نلعب فى سرايك
لعبة الحب : لعبة زق الحمام ، لعبة الساق على
الساق

وإذا تجلى ابن الخمار : ذلك الغلام المجوسى،
جعلت أهدابى مكنسة لأعتاب حانته

هـذا طلّ صبح الأمل يزفّ البشرى
بعودة يوسف التائه إلى ارض كنعان

لقد طار زرزور الظلام ، وأقبل بلبل
النور فى غلائله البيض يطرّزها نثير النّضار

فدعنى أنصب دمية على عرش الورود :
فلق المدى ، ومجتلى طلعة اليمن

ثم دعنى أهيّىء لها طوقاً من السنبل
والريحان ، واسكب قبلاتى طهراً مذاباً فى معين
الصباح

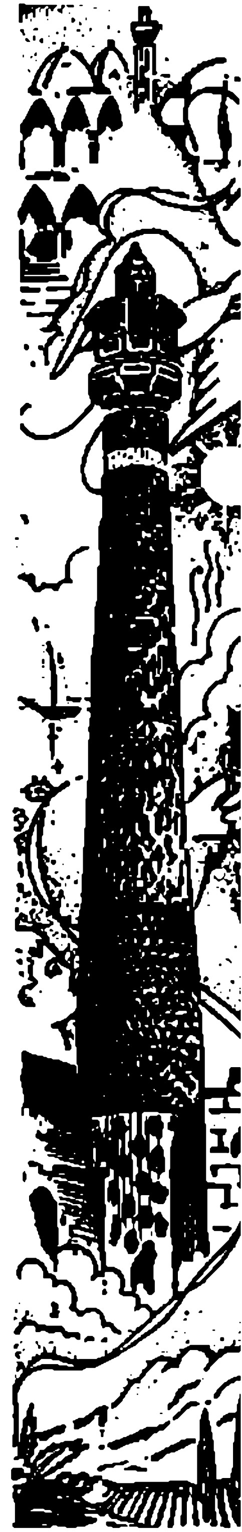
وافرغ عليها ما فى خزائن الربيع من عطر
وألوان ووشى وأطياف

هبّوا ايها المؤمنون ! الى صلاة الطرب ،
والأحرام بكعبة الحانة

وتلت ترجمة الساقى آية السحر ، فأرسلتها
حناجرنا اورادا ، وحفل مجلسنا بالأعاجيب

يسبّح الملائكة بحمد الكأس ، ورفع
الصوفيون الى سدة السماء آيات التمجيد دائرين
راقصين .







- ١٦ -

الشرح

الموشّع : المُعْلَم

رُكناباد : نهر في شيراز

الأبلج : الطلق الوجه

السُّرادق : الفسطاط يُمدّ فوق صحن البيت

القُطْب : في الأصل : حديدة في الطبق الاسفل من الرحى يدور عليها الطبق الأعلى

التأثر

دوّن النمر من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الليبية

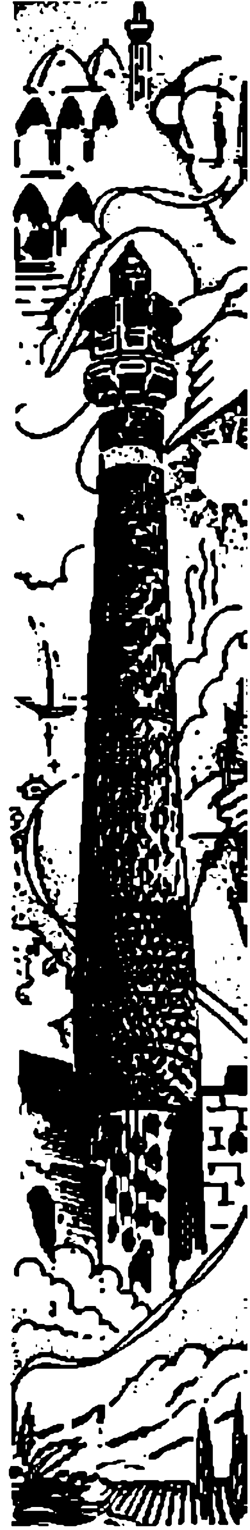
لبى أمس أذان مؤذن الغرام ، فامتلأ
جو النفس بالهيبة والبهاء والتهاليل

بنغمة العشق ، ناح البربط ، ورن
العود ، وأن الرباب ، وزفر النـاى ، فبكى
الأبريق ، وشربت دمعه

إنسان عيني الدامع لا ينعكس في مرآته
سوى محراب الحبيب

هذه الدنيا الغدور : ذات الكأس السوداء
تغتال ضيوفها بعد أن تجيدهم بأفانين البلاء

خبت النار في بيوتات فارس ، منذ ذكت
نار حبي ، وتعكر ماء دجلة ، منذ رفدته
دموعي



لا يخلُ ، اللهمَّ ! هذا العالم من أنــــين
العاشقين ، ففي أصداء أنينهم ترجيع موسيقـا
الشفق

فاحتسِ صبح الحُميّا حينما يمشي الكون في
جنـــازة النور ، ويُسدل الليل أستاره على
سُرادق الكون

أسند رأسك بخشوع إلى آجرّ الحانة ،
يحدثك عن قصور القلوب التي دمّرها زلزال
الزمان

طلعت شمس الحميّا من مشرق كأس حافظ ،
فاحتسها لذاذةً ، قبل أن تدور دائرة الزمان

حافظ أغرودة الله . نعم ، أميرُ الحب ،
وطاووس العرش يتحدث بريشه المطرّز بالنار ،
الموشّى بالماء

حسبك روضة شيراز محجّ العاشقين ،
وحسبك نهر ركناباد واهب زلال الحياة
للأبلج الخضر

شيراز بجاه حافظ معدن ياقوت الشفاه ،
ومنجم الحسن ، لكنه فيها ذلك الجوهري الفقير



حتى المطلق - ولا مطلق - حزمات النور
القُزَحيّ يغزلها مغزل قلبي

وسأنسجها بُرْنُساً قشيباً تسبح فيه
الالوان السبعة على بضاضة جسد الله

وستعطر تسابيحي هذى البضاضة : عطراً
من نار على عطر من نور

وأوراق الورد : ورد شعرى المجنون ،
ستراقص البهجة المطراب ، امام اعين الحبيب

أنا زفرة الله : لاحدود لحبى ، ضنّ الزمان
بها ، ثم أرسلها ومضة خاطفة ، فى سماء
الوجود

أقانيم النفوس - يا للنفوس الحيرى ! - تمجّ
هيكل سعد أناى

كنت مع الله ، ولم يكن معنا شىء ، بل كان
كل الوجود يحيا ويدبّ فينا

حُبنا الزمان ، حُبنا المكان ، يا عين ما ،
كم كم رأت فى ضَوْج غابات الحياة



- ١٧ -

الشرح

الجسد : الجسم

الخرابات : الخمارات ، وقديما كانت فى خرابات ظاهر المدينة ، لتبتعد عن أعين الشرطة

العانس : الجارية طال مكثها فى اهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار

رأد النور : يراد به شباب النهار

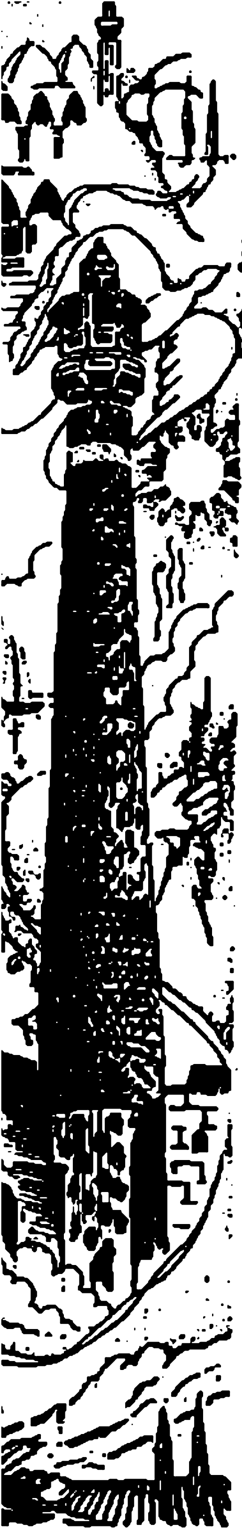
المقصف : مكان الشرب واللهو

التأثر

دون الشعر من حافظ مع التعديل

وبيت لابن الفارض

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة التصوف

في طراوة الصباح صرّفتُ اذني في عاج
السماء ، فدلّتني الى صدى ، يردّد نغم الحيرة

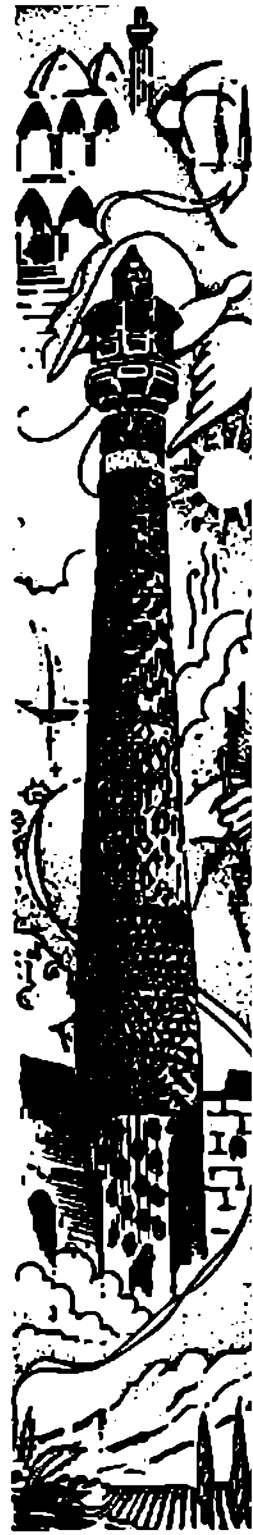
عرفت الصدى قبل ان يهتز به الهواء ،
عرفته من تموج الفكر الكامن في رأس
الزمان

فزودتُ عقلي بزاد الراح ، ثم ارسلته من
مدينة الشعور ، حتى اختفى وغاب

اسرار هـــذا الدهر المستبد في خزانة
صدري ، ومفتاحها كاس المدام

مـــسحت بليقـــة الاشراق بلور الفضاء ،
ورميت ببصري الى قرارة قلب الوجود

حين يغني صحبي ويرقصون ، تمور الأفلاك
نشوى ، ويُهلل الملائك ، ويومئ الله



غنّى مطربنـــا الصبيح آلام الجوى ،
فشجانا ، وشربنا الدمع من كأس العيون

سبحتي حبات دمعي، فوحها فوح الصلاة ،
ونجيا وهج المنيب

آه : لو كنت معي : على أمم من عيـــنى
لترامى اليك نغمة الأسى الطروب ، تسلسله
نجوى الدموع

سيلثم الشعاع قطر الندى ، وتمسح دموعي
يد الرضى

أمانيَّ في الحيـــاة عاشق المتقود ، وحبيب
حنون ، ونهر دائم التطريب

جفّت جفون الطرب ، فأين السبيل إلى
الخرابات : حيث أجد في مائها وهوائها النشوة
والنماء

شجرة أمانيّ لا تثمر – وإن راقصها رأد
النور – إلا إذا احتضنت سروتك القرعاء

اختطفتني مني ، يا رب ! ولم تردني إليّ ،
هذه نارك ، يا رب ! فكيف نورك ؟



نفذت سهام عينيك من دروع روحى ،
وانقطع خيط صبرى بمقراض الأسى

عين حافظ الغرق فى لجج محاسنك مقصف
خاشع الأسرار ، وجنـــة تجرى من تحتها
الأنهار

وماذا على أن ينشد حافظ ، سوى أنك فى
عرش جمالك حجاب مرامى الأدراك ؟

هذه الطراوات القمراء فى صحارى الحياة
ثمرات القدس أفلتت من شلال النار

من معالم الكون ومجاهله لمحت كنف السماء
حبات النور ، لازوردا سليبا يوشح جيب
الله

على تخوم الوجـــود عرشت عرشى ،
ورحت أمرع بنسغ الحياة

نسغ الحياة حـــلو مرير ، ليكن مريراً
علقما ، انه نسغ الحياة

نسغ الحياة فيه الفناء ، فيه التخطى الى
عالم السر ، فيه النفوذ الى ملكوت الله



سأرجم شيطان البلاء بشهاب الصباء ،
وأطوّح بأسهم الدعاء تخترق كبد السماء

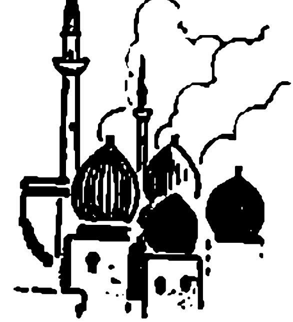
صبّوا على تربتي جام الشراب ، يروّي
عظامي ، وينفث فيها الحياة

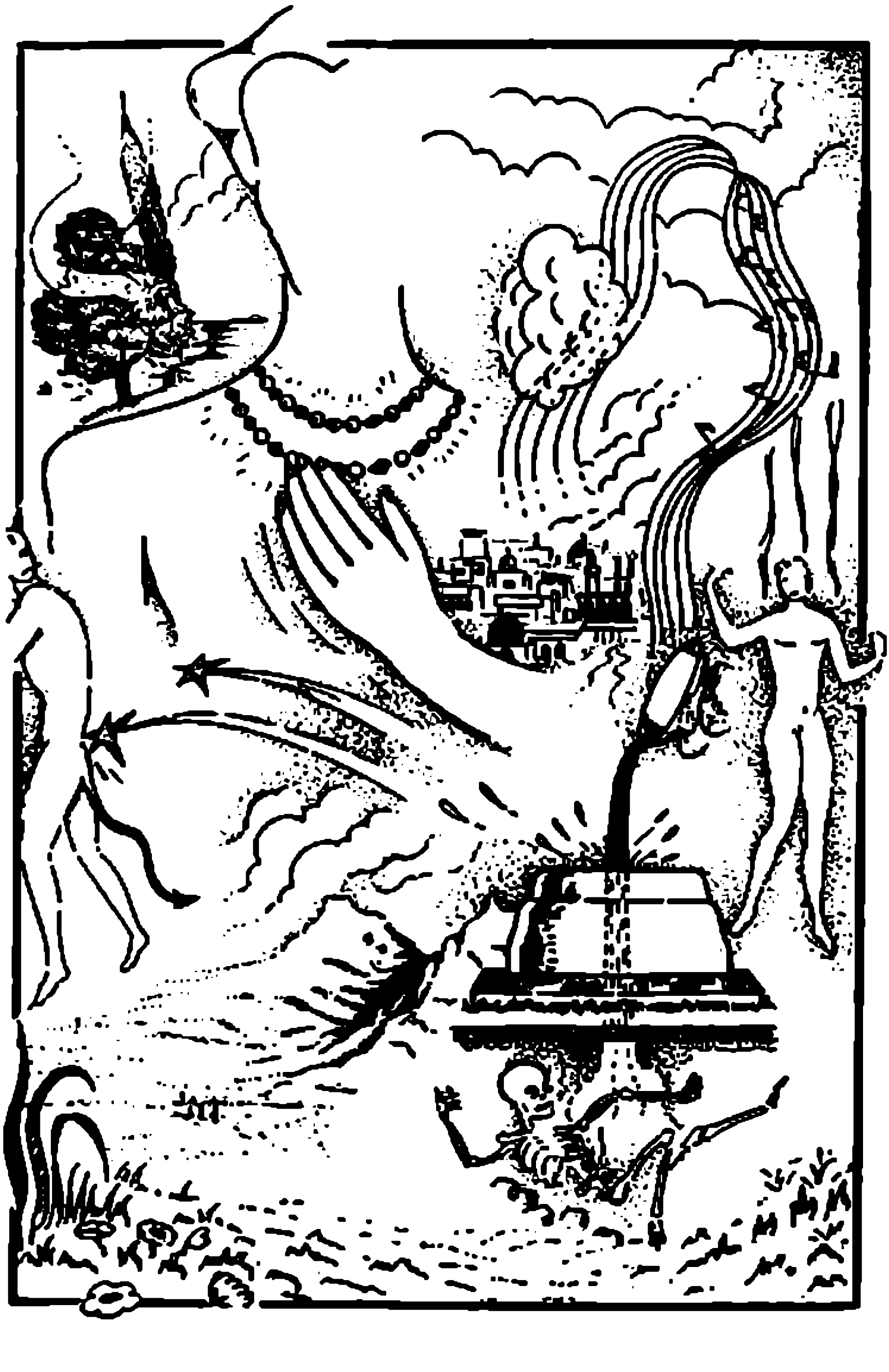
وطرّوا عيوني بمُقتضى الماء : اقواس النور
والبلور من فوّار إيلز

انفض البلى، ايها القلب الرميم ! واستأنف
الرقص على غناء سلطان العاشقين :

شربنا على ذكر الحبيب مدامـــةً
سكرنا بها من قبل ان يُخلق الكرمُ

قوافل الدعاء أُزجيها إليـــك ، يا رب !
فاجعل نار روحي نار إبراهيم : بردًا وسلاما .





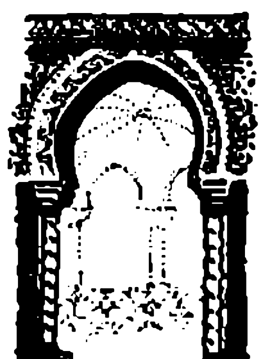
فأنا الظـل الممدود ، وانا الخط المشدود بين كان ويكون

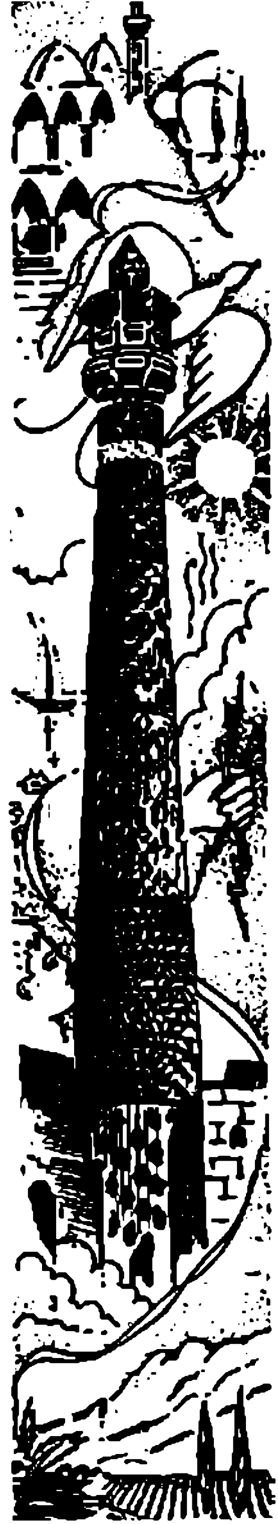
فـنى الفنا ، ونادى الحق : يا أنا : ليـة بدايتك كليمية نهايتك : وجود عـدم ، وعدم وجود

حوض العدم لا يفيض بالوجود : فالحيـاة الوليدة فى مدفن الجسم صـــدور وانبثاق من حوض الوجود ، بحدها ـ ولا حد لها ـ قطب الأزل ، وقطب الأبد

سوف أحمل معى إلى قبرى خيـال خال الحبيب : نقطة مدار النور

وسوف تتزاحم أسراب الحور ، يعطرن جيوبهن بمرقدى الرطيب .





- ١٨ -

الشرح

مُسبط التركيب : حسنه

ذو مِرَّة : ذو قوة

الدير : يراد به الدنيا

الغبغب : في الأصل اللحم المتدلي من رقبة البقر والديك

التلماح : اللمعان

الناثر

غدق من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الباب

أنا خازن كنوز الحكمة ، أنا أخت السحر ،
والأبلج الخضر ضرب حجاب الظلمة حول مائه،
حين شرب من سلسبيل شعرى

بيانى سبط التركيب ، آبد الخيال ، ذو
مرئة وطلاوة ، فى ناده وأنه تعويذة الدهر
الغشوم

بيانى ما استأذن مثله على سمع الزمن ،
وهيهات ان تحلم طيور الفكر بنجمه ، فهبّوا
ـ يا لثاوى الحكمة ! ـ كوثرى العاق
العجيب :

سارت بنا مركبة الأيام ، فى فيافى الفناء ،
فاستيقظوا ، يا نيام ! فتوم العدم يتأثر
خطانا

تغرّبت الروح ، لئن فُصلت عن عالمها الأول ، وكانت الغربة طليعة البلاء.

ثم سجنت في غياهب الجسد ، وحرمت حلول الألوهية ، وكان السجن ادهى بلاء.

وسُلطت عليها ـ سحابة الحياة ـ ضروب الأسقام والآفات تصوّحها ، وتذوي نضرتها

وطامة الظلم : ظلم الانسان طبّقت الجو بدخان الآهات

فواروحاه ! وواروحاه ! ويا لله لغربتاه ، لغربتاه

سيطوى الزمان أوراق الوجود ، ويخفى البلى في تابوت العدم ، دون ان يُدرك المكنون في لوحنا المحفوظ

أحكم مهندس الكون طريق القدر ذي الجهات الست ، ولم يرسم في تصميمه نافذة تطلّ على القدر





أين من تُخف لمة القدر ؟ اسمه ينادى
عاليا : افلح من جهز بوجهة سديد

نعمّا الأمل ، نعمّا العمل ، اسعَ يا رشيد !
فعجلة التوفيق لا تجرى على دولاب واحد ،
اسعَ يسعَ القدر معك

ينقد العمر تترى الرغائب ، فلا تبع
يوسف هناءتك ، واشرب الأشراق الضاحك
من واحة قلبك

لم تغدّى قلم النقاش الأعظم ، فمعرض قصر
الابداع حافل بصارخ العجب

رسم ترسم الابداع هذه القبة الزرقاء .
ومن يدرى ما رسم لنا فى دورة البركار ؟

نقاط النور المرسومة على اللوحة الزرقاء
قصيد فى العظمة البالغة المهاة

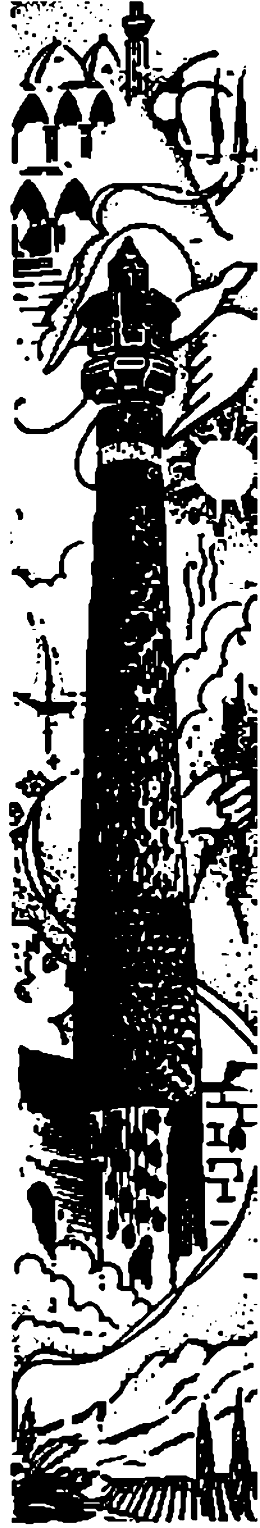
نضير الزهر : هذا الحبور على الغصون
يطل علينا حلوَ العيون ، ويرسل ناعم همس
الشذى

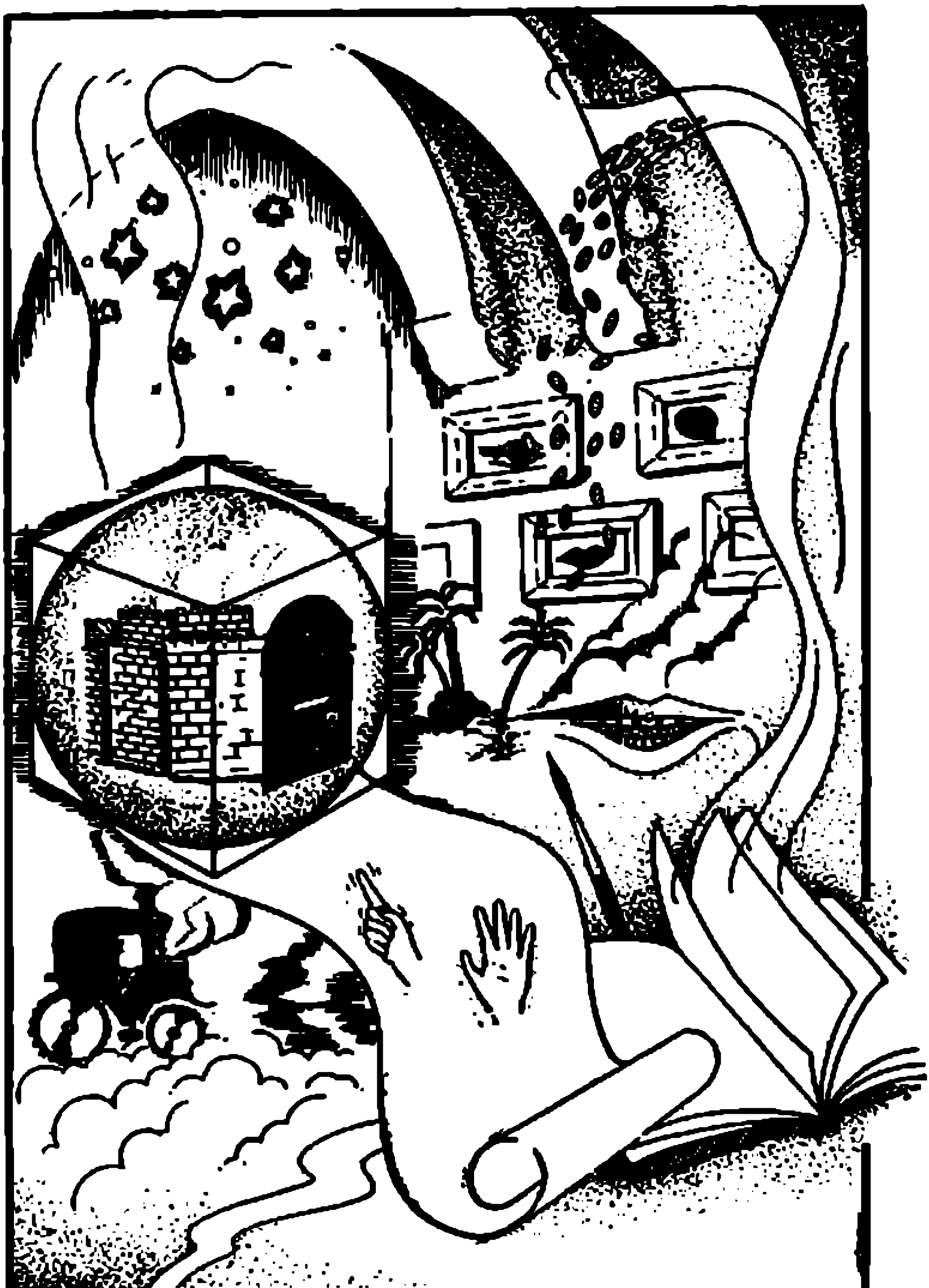
فاشرب ، واطرب ، وامرح ، واضحك :
ملء قلبك الكبير

قبّل غبغب الساقي ، وأدرها سحرية
التلماح ، ولا تنسَ أن تسقي صحبي : نجوم السماء

يا صحب ! يا ألق الوجود !
يا حلم العين الشرود !
يا نشوة القدرة في
أغوار غور اللا حدود !
يا ومضة الحنان والث
ماء من قلب الودود
قد ضمنا صدق الولاء
فلا مراء ، ولا صدود
سنظلُّ نسبح في الرحا
ب وهَدْيُنا مجد الخلود







- ١٩ -

الشرح

السادر : الذاهب فى البلاد لا يثنيه شىء

جوهرى النفس : اشتقاق من الجوهر - وإن لم تسعف المعاجم -

البارض : اول ما يبدو من النبات

المنمنم : المزخرف

الدارة : ما احاط بالشىء ، هالة القمر

الوسوسة : فى الأصل صوت الحلى والقصب

الرغيب : من رغب الوادى : كثر أخذه للماء

التأثر

دون النقد من حافظ مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة التفاحة

هناك : فى خرابات المجوس ، حيث يفيض الكوثر وينصب شاهدت بحفلة نور الله

أى فتنة أثارتها ماشطة الوجود ، حين كحلت نرجسته الناعسة بكحل الدلال ؟

يا حبيبى ! إن قلبى السادر جنح أوتاره بالطهر ، ومضى يرقب أوبتك فى نافذة العين

يا حبيبى ! زورق الروح جرى مترعاً بالأغانى بين أمواج الزمن

يا حبيبى ! وردة الشوق تناغيك ، وفى فيها انـــا

يا حبيبى ! جنة الحب تناجيك ، ونجواها انـــا

جوهري النفس ، يا دموع ! واغسلي غبار
الأسى ، كما يغسل الضوء أواسيَ الظنون

غرقتُ في أساي ، وغدا طلابي من الدنيا
أن تحملني امواج دمعي إلى ضفاف رضاك

سأغوص في لجج دمعي طلبـــاً لجواهر
وصالك ، وسألقي بضريم قلبي في عباب بحرك

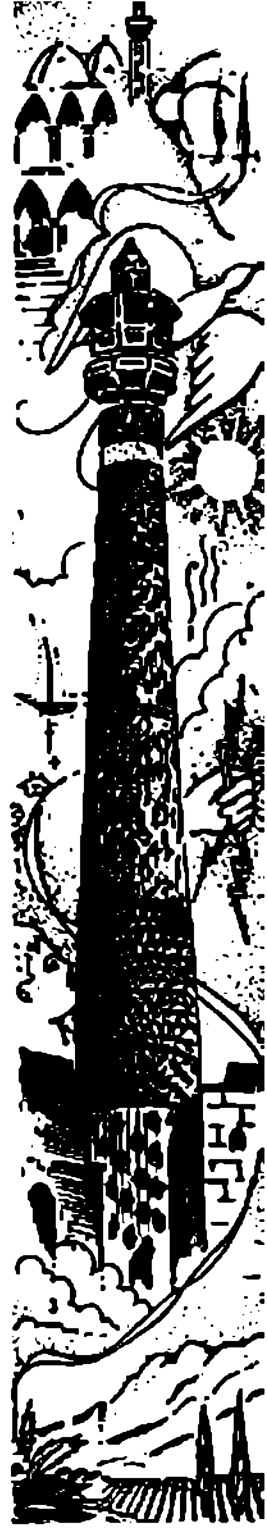
سندس الخطّ على أسيل خدك ظلال بأرض
المرج المتنم يسبح في صفاء الغدير

رسم الجمالَ قلمُ النور ، وارسلت النجوم
عيونها الى الماء تملّى آيات الجمال

في رجراج الماء كُن المرج ، ونمنمة المرج
ونضرة المرج ، والبهجة

وفي رجراجه كُن الشباب ، وزهو الشباب ،
ورهبة الشباب ، وصرخة الحياة

وفي رجراجه كُن الزهر ، ولون الزهر ،
وشكل الزهر ، والأريج





وفي وجراجه كنت الطيور ، وهـدى
الطيور ومرح الطيور ، والفرد

ناصي ، يامظاهر الحياة ! خاطر الماء ، وزف
الالحن إلى الحضن الرءوم

على حفاف نأي تحمـل الزغاريد الولهى ،
هاأنذا أفجرها هياما يتندى امام عرش الله

يا نيسان الزمان ! من نقطـة فلك : منبع
الحياة تطرشي خضل البنفسج ، وهبت ذرات
الأفواح لشق حبر الأجـواء ، الى مشام
الروح

ومنذ ان اكتحل جفنو عين الشمس بالهباء
الراقص حول دارتك رفرفت رايات الانوار
في متاهات الحياة ، ونور الجلال

ناجيـة الاماني أدرجت طيات شعرك
الطفل الدعيب : تلمابة الأنسام والنور

يا زهو الزمان ! من سنـدس الشجر
والانسام والنور نسجت هلهل برد التلى



وسلاسل طُرَّتك لواء الفتنة ، وتلماح
التاج : تاج الهدهد معقوداً على ناصيتك

وتفاحة ذقنك ـ يا لله ! ـ آلاف من
اليوسفيين ألقوا في غيابتها

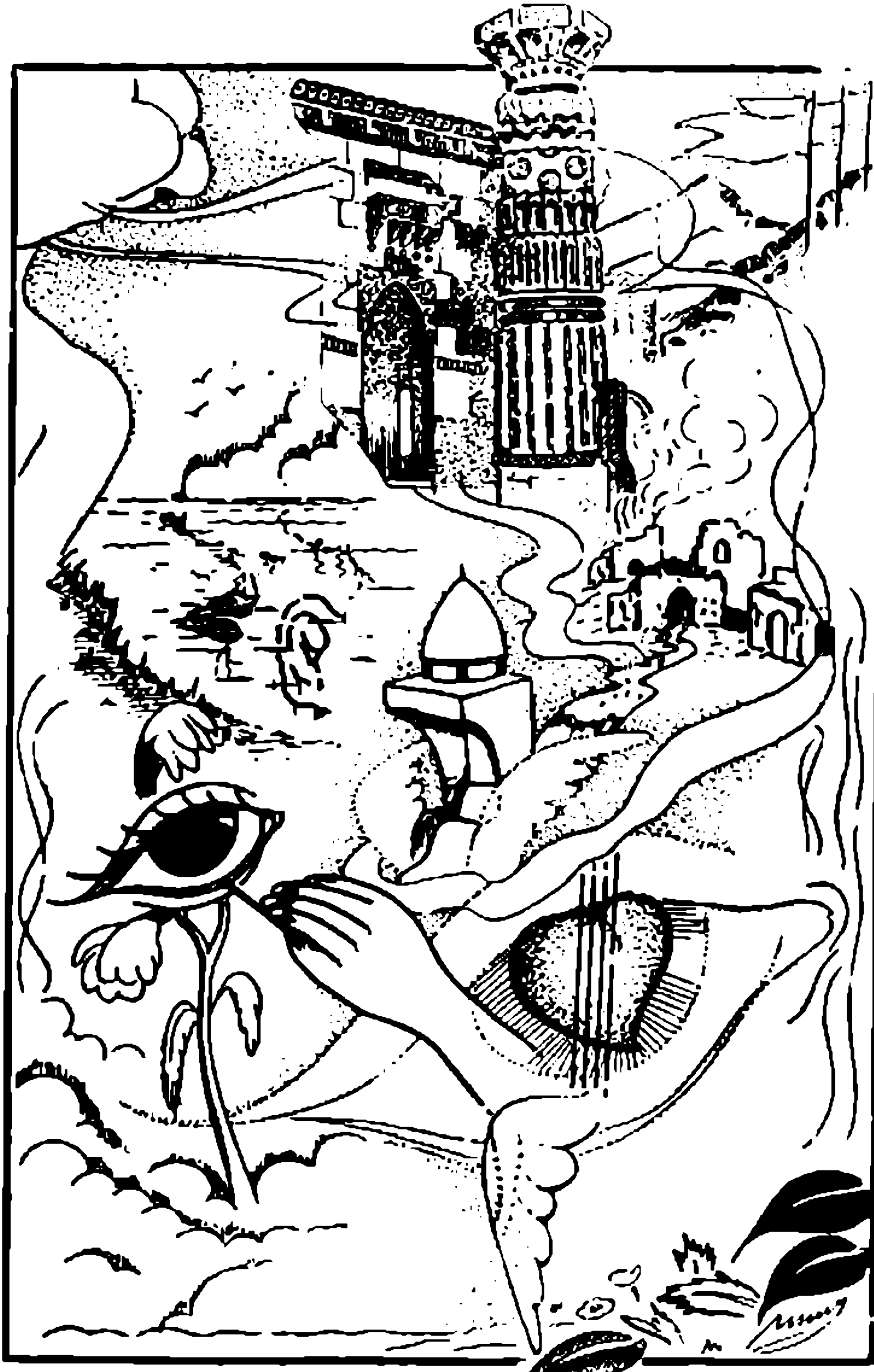
من وراء خاتم شفتك خزانة ترانيم
السكوت : سكوت سدنة الأسرار من لجاج
الغيوب

وهمسات روحك غماغم مخضلة بوسوسة
الفجر ، وهزج الحب والحنان

يا لرمز الكلام ! ما وسوس الفجر ؟ وما
هزجَ الحب والحنان ؟

سل هذا الصوفيَّ الزامر ينبيك من قلب
رغيب .





- ٢٠ -

الشرح

الخميلة لغة : ملتفة الأغصان

الهواء هف : خفيف : لا شيء فيه

النأمة : الصوت ، النغمة

الفلك الأطلس : فلك النجوم

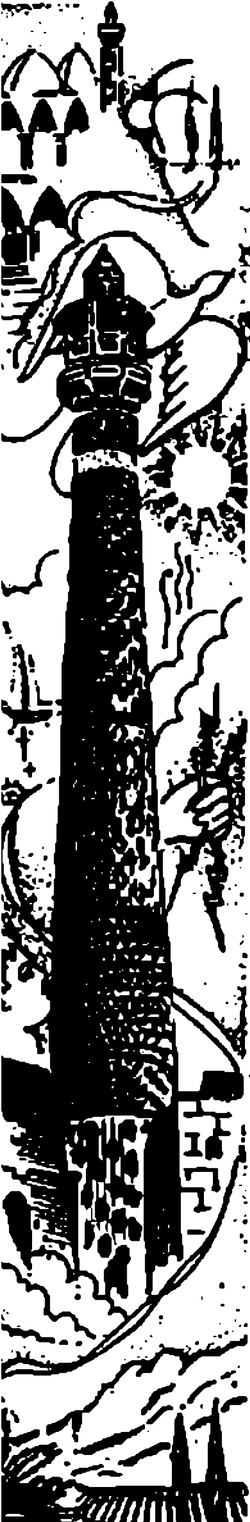
المريد : من فني قلبه عن كل شيء دون الله ، فيريده وحده

الناشر

دون التدقيق من حافظ مع التعديل

جزء من جملة تنسب إلى علي بن أبي طالب

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الغيب

العبير نضيرة لفتاء ، والهواء يعف بليل ، والشراب صاف هنيء ، وكل ما فى الوجـــود جميل ، لأنه من نبع الجمـال

مشى الصمت إلى ساحـــة الليل ، ومشى حفيف الخيال إلى مروج الظلام ، وعلى كل لم مطبق نأمة الأنس والرهبة والجلال

أرصد فى ليـــل الداجى قمر الأمانى ، آه ، ثمة آه ، ليته يطلع ، ويلقى شعاعـــه الوقور على سقف مدومتى

طعمتُ ، ثم طعمتُ من شجرة المعرفـــة ، وشربت ، ثم شربت الغيوب اللدنيـــــة من نهر البهـــاء

معرفة على بهاء ، ونفوذ الى مطاوى السر على حنان الجمال ، لا جسم كلا ، ولا حواس



سبحـــان الجمرة والشرر : رددتُ على مَصطبة خـلوتى أورادى عنـــبران أشرَق بصوتى

وأرسلتُ فى هــــذه القبة الزرقاء حنين العود والناى : صـــلاةً خاشعة فى محـــراب حاجبك

فسلام كعنبر الحبِّ الأقدس إلى إنسان عين الضياء ، وسلام كعالم النشوة : عالم الله إلى شمعة خلوة الناسكين

ها قد غنّى البلبل ، وقال : سعيد صباحك يا ودود ! فأين الكاس والساق ؟

أين عبير الأحلام ؟ أين نشوة النور ؟ أين حلم السماء ؟ أين الأنّى المؤلّه ؟

غياهب الابريق نارية الأنوار : تصخب بالشباب والغرام والمضاء والتجلى

وهل يليق بسجادتى فى خلوتى ان يناغيها حجر لا تدبّ فى عروقه خمر الحياة ؟



الراح عين الأرواح : شعاع يلثم شعاعا ،
وبهاء يلوذ ببهاء

فتعالَ ، يا حافظ ! تعالَ ، واشرب نخوب
الطرب على هزّج الصنج

طرب الطرب لما شرب
والربُّ بارك وابتسم

قبّل شفة الكاس : تلك التي تطلّ منها
على اسرار شفاف المنَى في وادي وريق
الغيب

الكاس بسمة وطرب ، وتجلٍّ وسمو ،
وعبث بفقاقيع نهر الزمن

أما سمعتَ همس العود : انا شيخ حنى
الظهر ، بلوتُ الحياة ، فلم أعدل بالخمر
شيئا

إلينا ، يا مُريد ! يا جنين الفجر ! واغسل
إذا زاملتنا سطور هذه الأوراق الزائفة ،
واتلُ معنا مصحف الكون

مصحف الكون نشوة ، مصحف الكون دمعة ، مصحف الكون صرخـــة العظمة البائنة

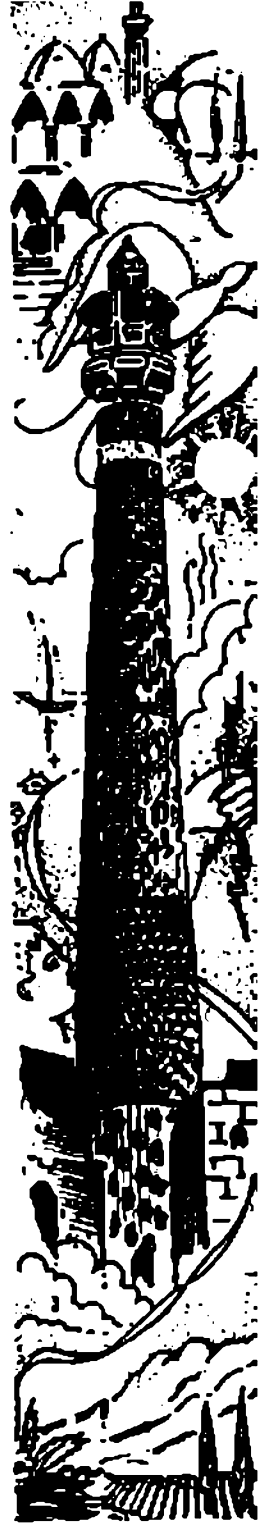
لمستُ في فلكه الأطلس روائع النجوم ، وسبحتُ في رجراج القبل

في ملاوى رجراج القبل قبلت السر ، وقبلني ، ودخلت الجنة ودخلتني

يا أمانة ياسين ! يا محكم الطواسين ! في غاشيـــة الأبيل الأزهر ندى النسيم المخمر طيلسانك الشفيف العجيب

ستظلُ عيني شاخصة إلى سرادق آلائك ، ياذا الجلال ! إلى أن يسكب الأبد لاهث أنفاسه على راحتيك .







الشرح

غسق الشباب : من في أوله ، او في حدته ، او في نعمته

الفتوة : الفتى

غصن مريج : إذا كان له شعب صغار ، يلتبس بعضها ببعض

ثمر الحنا : فصيحه البليحاء ، وأوثر هنا استعمال لفظه الدارج

شرق بالطيب : امتلأ منه

الفتى : الشديد ، المجاوز الحد

فريدالدين العطار : صوفي توفى في القرن السابع للهجرة

التأثر

غدق من حافظ مع التعديل

وجملة من فريدالدين العطار مع التعديل

وبيتان لمحي الدين

وبيت لابن الفارض

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة العطر

حبيبي أسمر الوجه ، بسّام الثغر ، مخمور العين ، مكوكب الجبين ، حلو القسمات

حبيبي قرنفل المباهج ، غيداقُ الشباب ، موّار القامة ، سكران الزمان

ناعم الشَعر حول شفتيه النديتين أسراب النمل حول سلسبيل الينبوع

حاول الزمان أن يمثل الجمال، فأبدع أفانين الزهر في فيح الجنان ، ثم ما عتّم أن أخفاها في البراعم خجلاً منه

فاخرت ألسنة الشموع أضواء الطهر في مبسم الحبيب ، فكان جزاؤها الاحتراق

أضواء الطهر ، يا مُنى العين : أشمّ فيها رَوح الحياة



سفينة النور : هذا الهلال الوديع يمخر
عباب السماء ، والسفينة والبحر كلاهما غارق في
بحر الله

بحر الله موّار بالجمال والحنان ومدّ الحياة
وجزر المدّ

كلما تذكرتُ صباحة وجه الحبيب سرتْ
إلى روحي نضرة الشباب

حنيني إلى عهد الوصال : عُمرٌ ان كنتُ
جزءاً من كلك ، حنيني ، حنيني . ومن ذا لا
يحنّ إلى معدنه ؟

ومن عجب أنى احنّ اليهم
وأسأل شوقاً عنهم ، وهمُ معى

فتبكيهم عيني وهم في سوادها
ويشكو النوى قلبي، وهم بين اضلعي

عُمران كنا نرفل في جنان الهوى ، وتتبلج
هالات السعادة من جنبات مقصفنا

وما زلت إياها ، وإياى لم تزل
ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي أحبت



سأنعم ، يا ُغنوتى ! بلظى حبك ، وسأحوم
فراشة حول شمعة وجهك

دجا الليل ، وتلاطمت أمواج الرهبة ،
وسفينة عمرى حيرى فى بحر الأحزان

تعلمتُ فى مدرسة الأسى ، فقطرتُ
الهوى ، وسكبتُ الضحى طهراً مذابا فى عيون
القلوب

هلهلت لناى ، وبلورتها وسكبت فيها
لواعجى ، اسق القلوب شدو الخلود

لناى أغنى حلاوة الوجد ، من خزائن
الصفو انتقيتها ، وفى محراب الشوق رتلتها

سقيت ورد الأمانى بعصورى ، فتبسمت
تسكب فى خاطر الآماد أفاويح الوجد وتطياب
الحنان

على مربح ثمر الهنا غنى خيالى ، فهلل
النور ، وشى الجلال سنياً سنياً فى مهجة
الكون

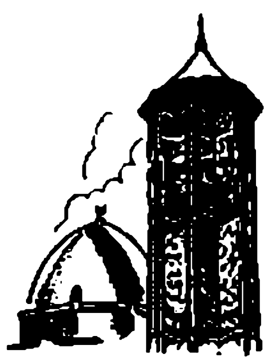
غنـاى عطـر روحى ، يحرّق الزمن بشميمه ، ويغرق فى نضير الأحلام

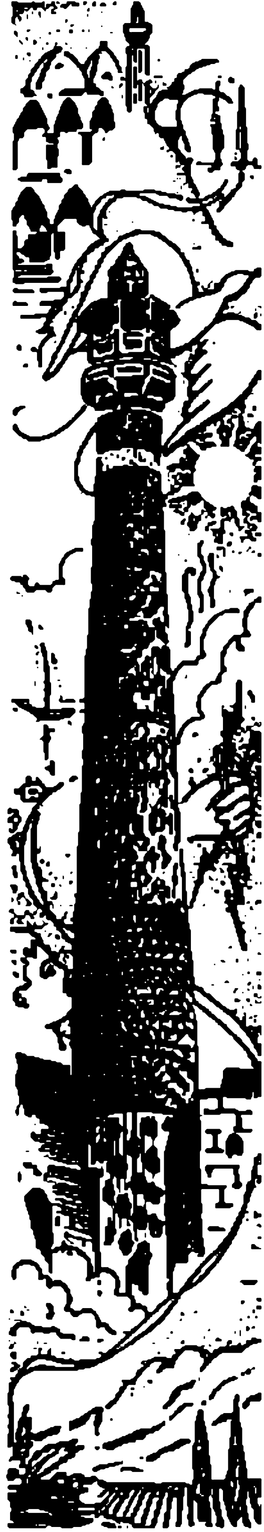
غناى صلاة من ضمير الفل ، وذوب نغمى يجرى فى طيلسان الله

تزاحم الأطياف الصديا على حفاف نايى ، فتمسحها يد لحونى بالغريب المعجز ، وتزجيها صلوات سكرى الى معبد الجمال

ستمر الآن سرايا الطرب وتدنو الطـاف الحبيب حاملة جام المنى .

وستصطفق النور فى أغوار قلبى ، ثم ينصبّ شلالاً دامياً عنق المدير .







الشرح

فينان الشعر : طويله ، حسنه

الزرزرة : تصويت الزرزور

المحروب : المسلوب المال

عز الدين المقدسي : صوفي توفي سنة ٦٦٠ هـ

الماهات : يراد بها صوت التنفس ـ وإن خلت منها المعاجم ـ

التأثر

غدق من حافظ مع التعديل

وجملة من جلال الدين الرومي مع التعديل

وخمس جمل من البسطامي مع التعديل

وبيت لعز الدين المقدسي

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الظلال

انطفأت الأنوار ، ونسمت رياح التجلي ، وغلام الزمان هنأ وبشر

قال خيلتي يا ندى المعانى ! وإلى فى بأجمل الكلام !

يا من أنفاسه كأنفاس عيسى ! إن ظلّ قامتك وقع على جسدى ، ينضحه إشراقا وألوهية

ولقد تعشى عهد طويل لم أشمّ فيه نفحة من عناقيد شعرك : ضمير العطف وروح الأمومة

مررت أمس ، أيها الحبيب ! فينان الشعر نشوان الروح ، ولم تعرّج على صومعة حافظ ، حيث يتبلور مع حبابها زرزورة اللمابيح

كلا ، ولم تسكب قطرة واحدة من سحب رعايتك على حقل كبده الظمأى ، ومرج جنانه اللهيف

فوا كبدا ! وواقلباه ! وأنت ـ يا آهات مواجعى ! ـ استمرى ، واستمسكى بأذيال تيه

جل ُ جلال الحب . صولجان الحكم فى كفيك ـ أيها الحبيب ! ـ فاضرب به كرة الأمانى

ماذا يكون لو علّلت عليل قلبى بقطعة من سكّرك ؟ ثم ماذا لو شربت نهلة من حوض القبول ؟

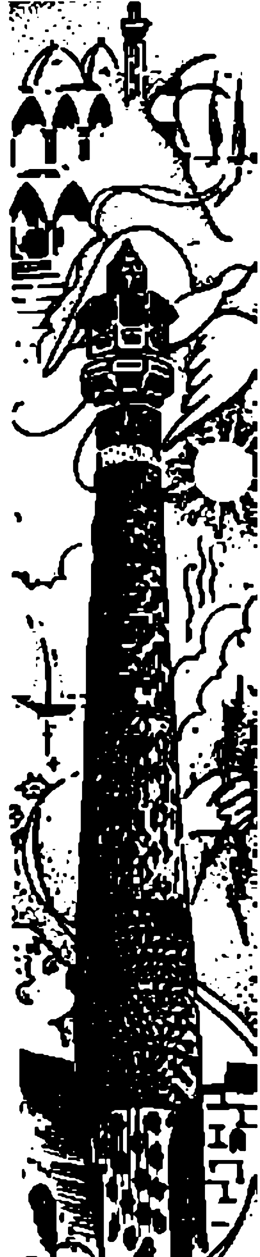
بلغة الدمع البليغة أناجيك . فأذن لوهج ظلالى أن يواسى ظلك المهروب الجريح

تعانق الظلال كتعانق الأنوار : فى كلّ جمع شمل الأشباه ، وفى كلّ تصفيقة اللحن الواحد

أنا ملاعب ظلّه ، المتوحّد بالمرآة ، لم أُطل من نافذة عيونى إلا على رياض رضاك

فى رياض رضاك زحمة القلوب ، وكلها تخفق بالشهوة : بحب الفناء فى بقاء الوجود

فى رياض رضاك زحمة الشفاه ، وكلها تغنى وتهيم بالشهوة : بحب الفناء فى بقاء الوجود





العالم بحر يصخب بالشهوة . وعالم الشهوة
يرى ، ويرفّ ، ولا يُحير

لأكلّه بلغة من وراء اللثات ، لأزجّ معانىّ
بالفاظ من اشماع ، ورنة من افواح الروح

ها ها ابتسم ، ها ها نسّم : شغلتك
القوافى ، يا حبيبى ! وانت قافية السعادة امامى

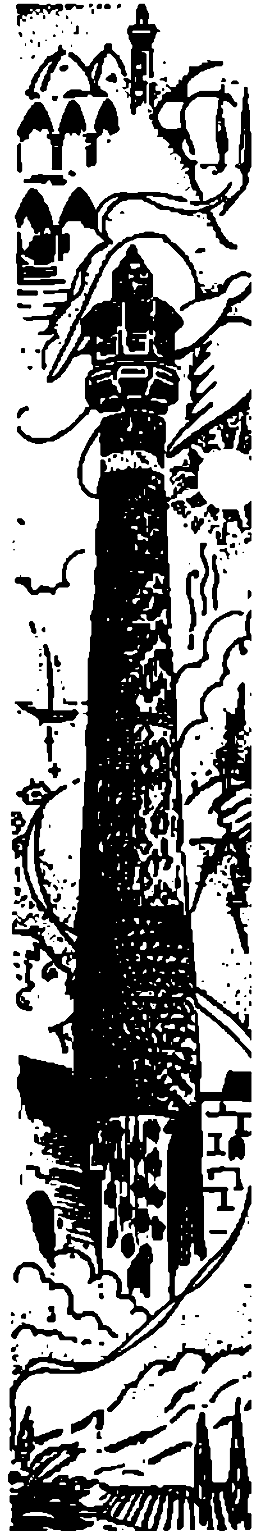
الحروف ، ما الحروف ؟ أشواك فى جدار
الروض

إنى لأعشق الصوت ، لأن رهيف الشعور
من وراء الصوت

يا أنا ! يا أنا ! : نادانى أخرى . قلتُ :
لبيك ، لبيك ، يا أنا : سُبحانى

قال : امض بصفاتى إلى خلقى ، إن هويتى
فى هويتك ، يا نورى فى ارضى ! وزيتى فى
سمائى !

ألستَ القائل : رضيتُ منك بك ، أفهمنى
عنك ، فانى لا أفهم عنك إلا بك ؟



أولستَ الزاهد ، قوتك الحرمانُ ، وصفيك حكمتك : الجوع سحاب ، فاذا جاع العبدُ مَطرَ القلبُ الحكمةَ ؟

قلتُ : بل قبل هذا ، إن كان في سابق قضائك أنك تعذب أحداً بالجحيم ، فعظّم خلقي فيه ، حتى لا يسع معي غيري

انت النعيم ، ملء الوجود ، اين الجحيم إذن تكون ؟

يا مهرجان الحياة ! صمتك الرخيم الريّان ضمير الأنس ، وحفيف الوحي حول إلماع عزّ الدين :

سقوني ، وقالوا : لا تغنّ ، ولو سقوا
جبال حُنين ما سقوني لغنّتِ

سألثم هامات انفاس الصباح ، ويستفيق الضياء ، فاتوّج هامتي بأكاليل نور الله .



الشرح

مرآة الأسكندر : يزعمون أنه كان للاسكندر مرآة تكشف المنيات

السرارة : بطن الوادى

سواء الشىء : وسطه

واسطه : غايه فى الحسن

الفيناء : الشجرة الخضراء الملتفة الأغصان

القند : عسل قصب السكر إذا جمد ، والكلمة فارسية

المآثر

ثلاث جمل من حافظ مع التعديل

جملة من فريد الدين العطار مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الملثم

ها أقبل الساقي الصبيح ، تحرسه الروح الأمين ، وفي يده كأس الجلوة : مرآة الاسكندر

يتقدم موكبها طلائع الافواج الناغمة على خيول الهواء .

طرب الفم ، لا حمل الحان افواج المدام

فانها لمثابة ، دفاقة البشر ، ومثابة الأشراق ، يرفرف طائر روحي رفرفة الهالة حولها

وهات معها شفتك تناغم شفق ، ونحن سكارى ، ولكن هكذا ملة الأبد

انعكست سحابة وجهك في مرآة الكأس ، فتهادى النور ، وانقشعت الخمر ، ومضت جميع الصور تتهاوى في مرآة العدم

هـذه الأفلاك فراشات تدور حول اللهب الأمجـد ، وتسكب فى سمع الزمان تراتيل التمجيد ، وأين من يطيق سماعها ؟

أنا غلطة النور ، مشى نظرى إلى سواء الجحيم : حيث الله ، ومشى إلى سراوة الجنة : حيث الله ، ثم عاد نضاح العطر غزل البيان

أنا سفر الوجد ، من براعم معانى ولثاى؟ جلدنى المجد الأعظم ، وغشانى بالذهب

النور وحده يسامر النور ، فيا ويح قلبى ! إذا ما اغترب

يا ظروف الظلام ! مسرحكن دود القبور : هناك حيث أكن المقام

حرام على النور أن يلج الكهف ، إلا إذا تداعت جدران الكهف ، وضحك للنور ، وضحك النور له

من نهر النار شربت النور ، واستويت على شفة الله ، وحلم الهناء حلواً حلواً فى غائم الجبال





رأيت الله ، سمعت الله ، شممت الله ، طعمت الله ، لمست الله

تغلغل مرامى تصورى فى أغوار الوجود ، وابعث تلك الذكريات : ذكريات تساقينا الهوى فى الروض الأغن

هناك فى ظل سنديانة الجبل سمعت وقع اقدام الله ، فدلفت اليها ، وغمرتها بليل القبل

فرفعنى بيده ، وطمنى وضمته ، حتى غامت حلمات الأنداء ، وأغفى جبريل

ذكريات الوصال ، ياما اندى ! وياما انضر ! ظلال زهو النور فى لازورد السماء

غفا الكون على ذراع الله ، وأطل الظلام الأنور من قبة الليل يسكب الصمت الصادح والأحلام

ارأيت نثار الثلج يهمى ويغشى الأديم ؟ هكذا هكذا نثار الخشوع : همى وغشى وغص به الجو الرحيب



صمتنا : هـــذا الحكيم الملثم ضاحى النغم
كصفاء الدوح ، ألاّق السنا كرواء الزبرجد

صمتنا : هذا الشاعر الرخيم يهمس فى أفق
الروح ما يجول فى خاطر الغيب

هنا تغفو عيون السر ، وظلّ الذهول :
سكرة الذهول ترفّ وريقاً ويذرّها

فى مرفأ الصمت الريان ترســـو زوارق
الحكمة وتبتاع خمراً لألفاف السكارى ، وزيتاً
عجيباً لنور السُرُج

سيصفو الزمان ، ويسمح لى النغم العازف
فى عين الحبيب بشراب القند من شفته الندية

هو هو ! ما طرّب تحت قبة الفلك اروع
من اغانى القمـــة ، فالى حنانك : حنان النغم
العازف في عينيك .





- ٢٤ -

الشرح

رابعة العدوية : متعبدة توفيت سنة ١٣٥ هـ

حيّونة : متعبدة عاصرت رابعة

إبراهيم بن أدهم : زاهد تخلّى عن ثروته ، توفى سنة ١٦١ هـ

لى° لم° : من ألفاظ تجسيد النغم ، تخلو منها المعاجم العربية وغير العربية

سُبُحات وجهه : نور وجهه

تكوكب : اشتقاق من الكوكب ، وإن لم يسمع

المصادر

أساطير تتعلق برابعة وحيونة ، وابن أدهم مع التعديل

وبيت لرابعة

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة رابعة

ظمئ النای للنشید ، فأعید ، یا حنون !
مناغم الضفاف من وادي التقى المجيد

على دُعُم الهواء استوى مصلّى رابعة ،
ورفرفت التسابيح البيض حول عريشه الرحمانيّ
تقول :

إلهي ! وعزتك ، ما عبدتك خوفاً من
نارك ، ولا رغبة في جنانك ، إنما عرفتُ مذاق
جلالك ، فامتلأ رحب حسي حبًّا

« لِيْ » ، « لِمْ » : فقلْنَ : خَطاكِ
ـ يا نور الصلاة ! ويا صلاة النور ! ـ تسلو في
محراب موطئها قصيداً من بحر العاطف ،
فإلى أين ؟

إلى أين ؟ يا مأتى الهدايا على أطباق الشفق :
الشفق البهيج المخضّر بمناديل من نور !

إلى اين ؟ يا خشوع الدموع : دموع الندى
في عيون الصباح !

إلى اين ؟ تثيرين سحاب البخار : غبار
السحاب في جوز الفضاء !

إلى اين ؟ وفي إحدى يديك نار ، وفي
الأخرى ماء ، تسرعين إسراعة تقفز الذنوب في
وادي الصلاة

قالت : إلى السماء : حيث أضرم النار في
خمائل الجنان ، وحيث انضح الماء على جمر
الجحيم ، فلا يعبد الله إلا على شرع الغرام

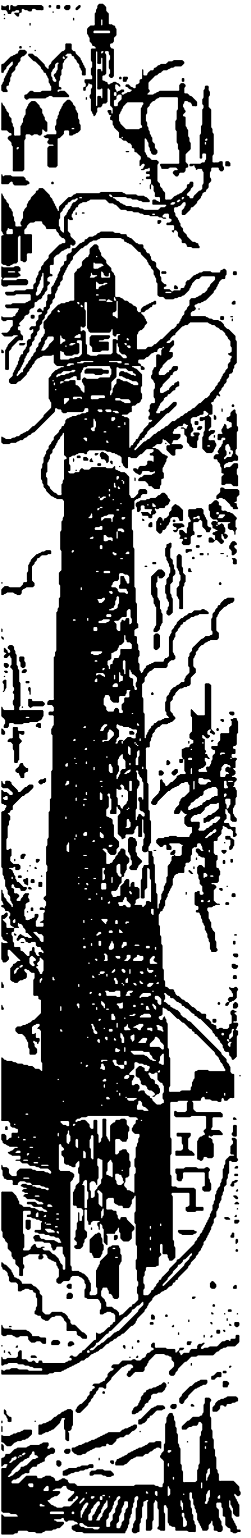
طاب مثوى حيّونة زانها النسك والجوى ،
وهي من سواجي عيونها فلق الصلاة

ماذا النعاس ؟ يا رابعة ! انهضي معي نقمر
الليل البهيم بهالات فجر تراتيلنا

انهضي نسر تحت جنح الظلام ، ونغسم افواح
التسابيح من صدور الروابي والوهاد

انهضي انهضي لا يسبقنا الفجر ، فنورك
اولى بنسيم الصلاة





الوضـوء، ما الوضـوء؟ انتِ طهر، انتِ
عطر، وجلال، يا عروس!

كتمتِ، والليلُ الليلةَ باح: حدثني عن
النهار عن ابويهما عن الجدود. تنسحب الرواية
أربعين حولاً، قال:

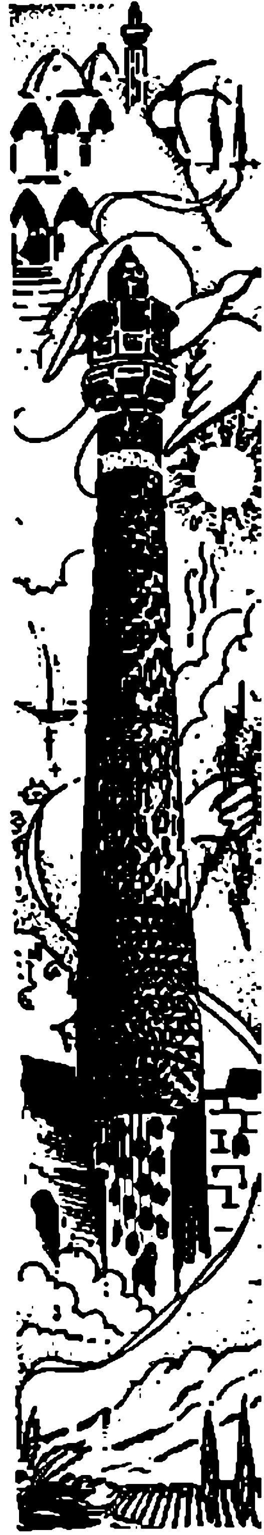
تزملت السكينة على ابن آدم، فزهـد
في ما احتـواه من ثراء، وسعى يريد البيت
الحرام

همسة من خطاه في أذن الأرض، بعدها
همسة من صلاته في أذن السماء: دواليك حتى
البيت العتيق

الكعبة، اين الكعبة؟ الكعبة تنم
الصوت: خفتْ إلى هجيج رابعة، اسمها ترحّب
بقدمها:

تكرمتي تحتفي بهـذي الخطوة المتأناة:
تقلبت على الصخور سبع سنين تريدني

وهنا مسح جدنا الأعلى دموعه براحته،
ومضى يقول:



اعرضتْ سرورُ الله عن البيت ، ونادت :
مالى والكعبة ؟ أنا لبنة ، والكعبة حجر : أريد
رب الكعبة ، أريد سُبُحات وجه ربى

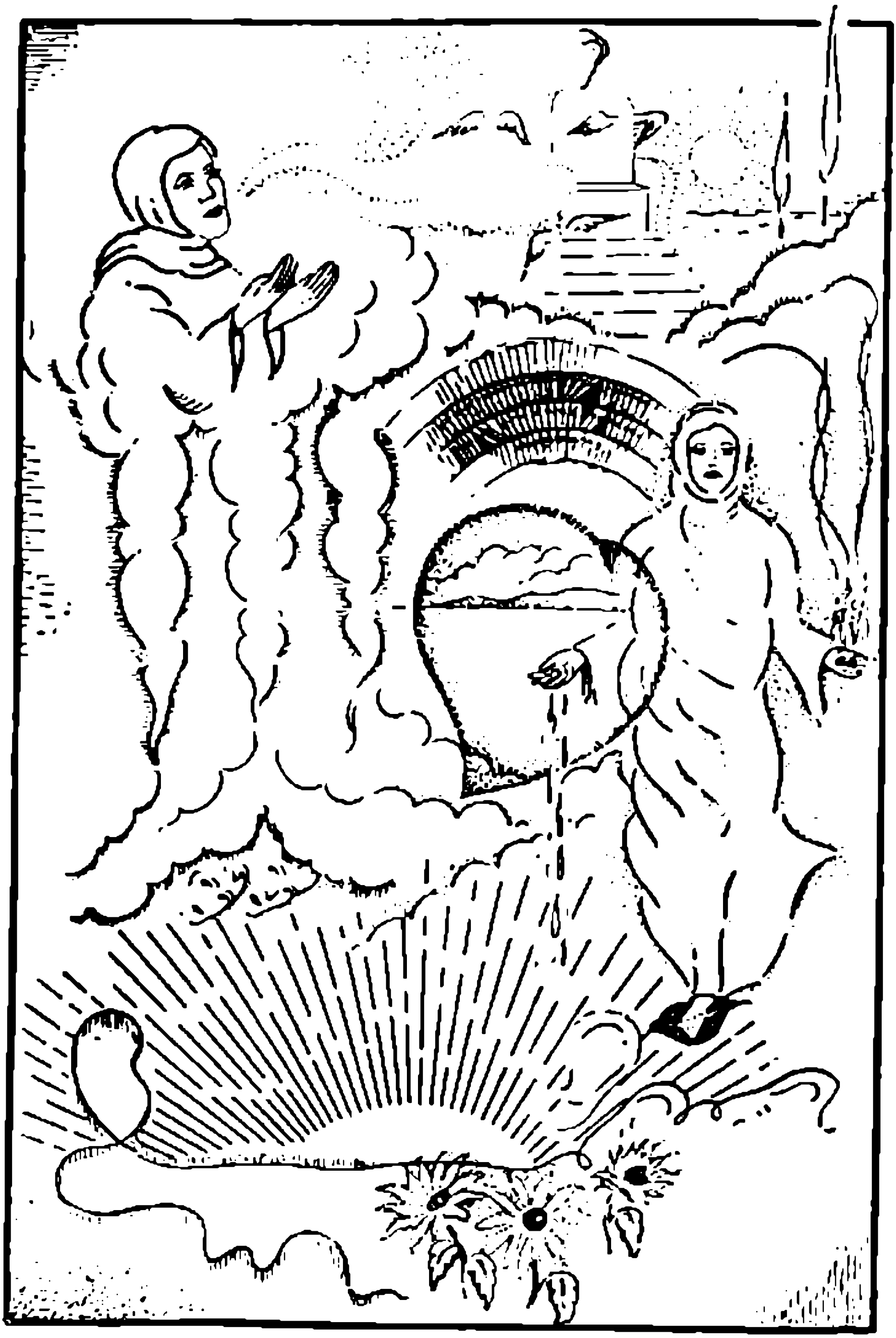
تكوكب ثغر رابعة ، ومضت فى ابتهالها :
كأن لم يكن من حديث : غفرانك - ربى ! -
من استغفارى الأثيم

إلهى ! توّرت النجوم ، وغفت العيون ،
وأوصدت الملوك أبوابها ، إلا بابك : مشرعٌ
الرجاء والحنان

إلهى ! خلا كل حبيب بحبيبه ، وهـــذا
مصلاّى بين يديك يناجيك : أحبك ، أحبك .
فالهى يا « نعمْ » ! ، بين أجفان الحبيب العربى

ليس لى عنك ما حييتُ بَراحُ
أنتَ منى مُمكَّنٌ فى السوادِ





الشرح

الأسطقسات : العناصر الأربعة في عرف القدماء : الماء والأرض والهواء والنار . والكلمة يونانية

التعطيل : ترك الشيء ضياعاً

المدهّر : خالق الدهر ، وهو من كلام الحلاج، وإن لم تعرفه المعاجم

المؤيد بالملكوت : شهاب الدين السهروردي الصوفي قتل في عهد الملك الظاهر

تضوأ : أقام في الظلمة ليرى من في النور

اليخت : مركب مائي للنزهة والاحتفالات ، والكلمة هولندية

التأثر

ست جمل من فريد الدين العطار مع التعديل
وجملة من جلال الدين الرومي مع التعديل
وكلمة « مدهر الدهور » من الحلاج
وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الإشراق

العقل ، ما العقل ؟ ما هذا الكائن الالهي ؟

العقل حبر جبان ، يتقلّب في مظلم الأحاسيس ، ولا يجرؤ أبداً ان يقرع باب السر

العقل دلو من غربال : لا يعدّ عالمنا الاشراقيّ ببلالة ، وحسبه هواناً أن جرعة من خمر الأرض تطوّح به

عوالم العقل كلها لا تلقي شعاعاً واحداً على هيكل الحقيقة العظمى ، دع ذا وسل قبله : هل عرف العقل نفسه ؟

نحن نقطة التسليم ، والعقل مع الأشراق قطرة ندى على سطح البحر

زعم البشر أن قد عرف ، ثم ابتدع . ثم عرف ، وما عرف ؟ أما ابتدع ، فما ابتدع ، هيهات ان يلج المقام



العقل يحاول أن يطل على الأسعليات
بنافذ خرس قاعــــة ، والاشراق يطل على
الأغوار ببلور صفاء الشعاع

خزانة الوجود لا حدّ لأسرارها، وخزن
الوجود اودعها الكنوز بيد من لا حدود

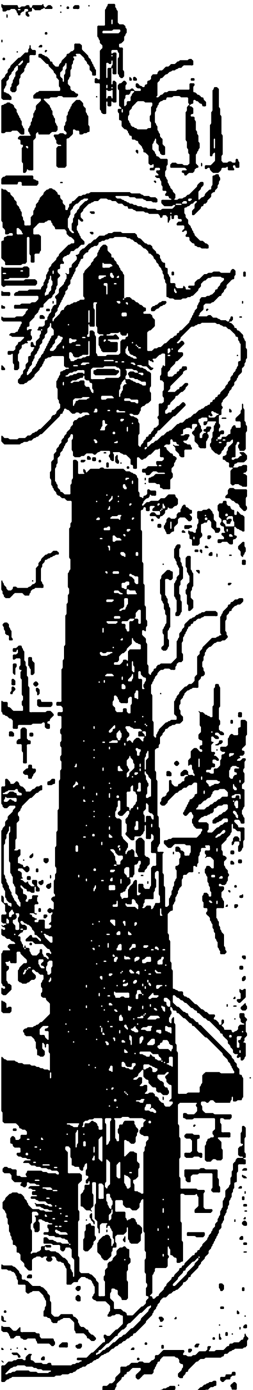
في ارض العقل بصيص من نور السماء يجلوه
الاشراق ، وينفذ إلى بعض الرفوف من خزانة
الوجود

أما سمعت إشراقة الالهام تترى على لسان
فريد الدين ؟ : فتّت الذرّة تجد فيها عالما

الذرة تصيح : كل ما في العالم من مظاهر
الله ، الذرة فيها الشمس ، لا تعطـل : كلنا في
دأب ملء الزمان

إنّ يوماً يتصـدّع فيه الكون ، وتنفطر
ذرات الأفلاك هيّن عند ربك: كما تسقط ورقة
من شجرة

العقل يؤمن إن شهد وجه الاله . قل: لن
ترى ، في كل شيء أثر من ربنا



هيولا العقل قضت بهيولا الوجود، يا عقل!
هل يسعد الحجر قلب الأمومة بالحنان؟

أجرى مسدّهر الدهور نهر المستقبل، فصبَّ في الحال، وأجرى نهر الحال، فصبَّ في الماضي، لتترامى ذرات الزمن في احضان بحره الأزلي

الحال، ما الحال؟ حجر رمى به طريح الماضي صدر مظنة الرجاء: صدر المستقبل، ثم هرب لا يلوي

هذه الفراشة التي أطلت من النافذة على الشمعة، وتلك التي دنت منها ولم تطق الوهج كلاهما يجهل سرَّها

إنما عرف السرَّ من غرق وفنى في اللهيب

حين بلغ المؤيد بالملكوت مرتبة الفناء صلى الحب عليه وسلم، وأودعته الملائك مكتبة السماء، لأنه تاريخ قلب عظيم

ألا تزال - يا شباب! - ترفع ذيل الهمة إلى كتفك، وتطوى كم التجلد، ثم تتشدد على ركبة الفطنة؟

ألا نزال هكذا : ترنم براعتك فى « صوت أجنحة جبريل » إقليماً لا تجد السآمة إليه منهجاً ؟

زغرد الحب ، يا جميل ! وصدح النور ، فابهارّ الوجود ، وهيمن الخشوع ، وتفيّأت أفياء الحياة

فى هبّة الزفرات جرى يحث حبى ، وأتلع الزمن التيه ينثر الأعجاب زهراً على جبين البحر

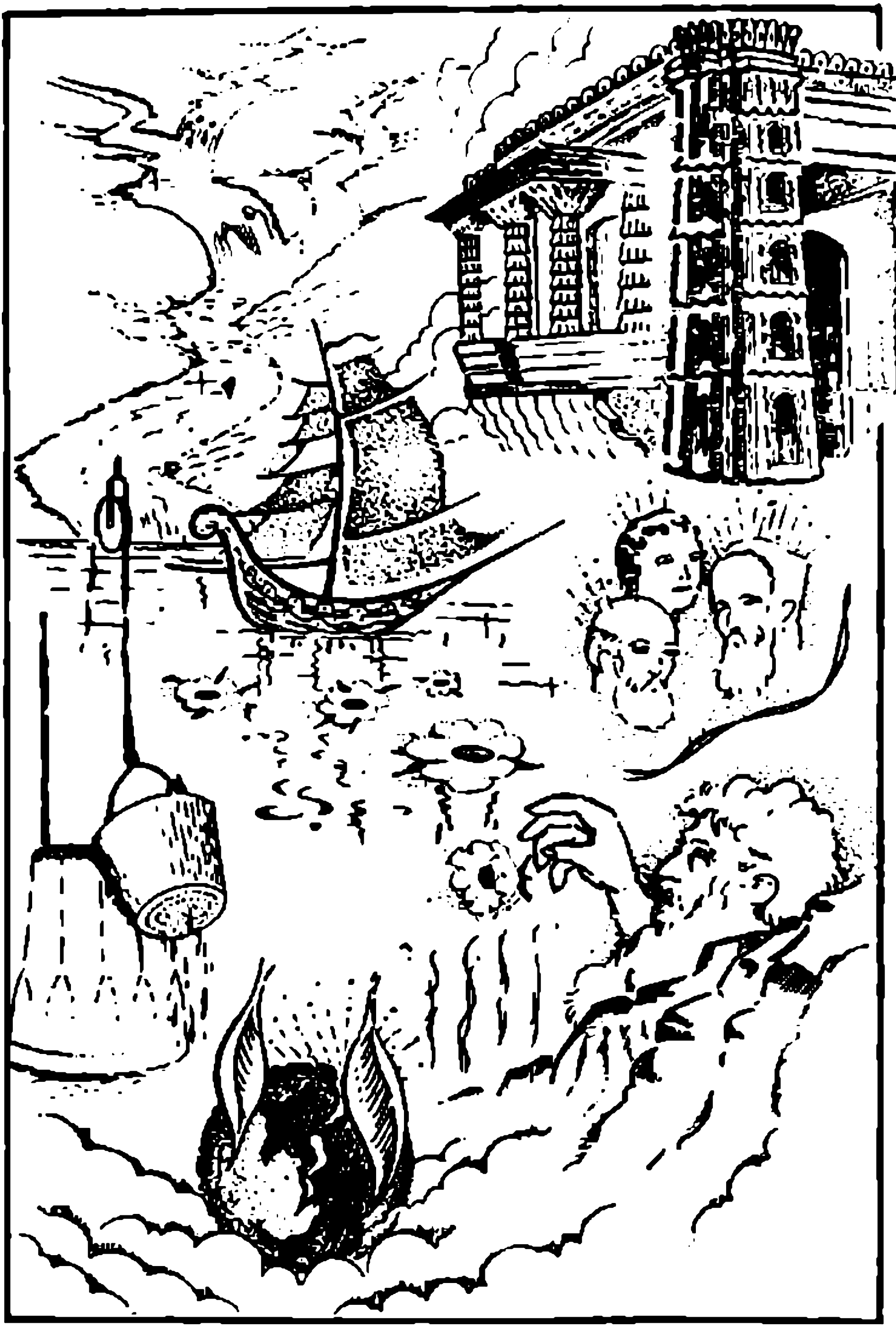
ردّدْ معى : حافظ نغم ناعم فى عود الله ، تتجاوب أصداؤه فى محاريب السماء

ردّدْ معى : حافظ نغم حالم فى نأى الله ، يتحفّى له حنان المهاب ، وينثره طراوة ونسيماً فى جفاف الحياة

وها هوذا حافظ أملى كتاب الطرب ، ورتّلت آياته معابد العاشقين







الشرح

افتنّ : من افتنّ فى الحديث : أخذ فى فنون وأساليب حسنة

الأقنوم : الأصل ، والشخص . والكلمة من الدخيل

روّح عليه : حرّك المروحة يستجلب له الريح

هدهده : حرّكه لينام

المتوع : ارتفاع النهار ، وبلوغه غاية الارتفاع ، وإسناد المتوع إلى المساء مجاز

التاثر

جزء من جملة من الحلاج

وجزء من جملة من جلال الدين الرومى

وجملة من فريد الدين العطار مع التعديل

وثلاثة أبيات للحلاج

وسائرها لصاحب الكتاب



سورة الشظايا

ما ؟ ما ؟ ويْ . ما دهاك ؟ : قالت لي
النفس امس ، ونحن في مجلس سمر

تتنزّى البسمة على شفتيك ، واراك ما تريد
ارسالها بسمة طلقة : كما هي ، او قهقهة تدوّي :
كما اختلجها من ضرام

الساعةَ الساعةَ : اجبت . في ندوة شعر
مررت . وأين ؟ بحقك أين ؟ في الجلّنار ،
في الجلّنار

ما الجلنار ؟ : تقول . دنيا كدنيانا ،
اخطأتُ ، بل أرشد

الجلنار – رفق ! – دنيا كدنيانا : تدور
حول شمسها ، وتدور قمر الرفاه حولها

شمسها – يا رفق ! – ترامت في قبة
الوجود ، فلا تدرك العين قطرها ، ولو حنت
عليها حنايا البلور

هاه هاه ! – يا رفق ! – يا ليت الشمس
غلام ! لأمدّه الالف ما وسعني المدّ

الجلنار – رفّ ! – دانت بوحدة الوجود ،
وأدركت سرّ السعادة ، فوحّدت الراية واللغة
والنظام والملك ، كما وحّدت القلوب

يا الجلنار ! يا الجلنار ! يا نـــدوة الشعر
الندي ! نغمه فنّ الإله

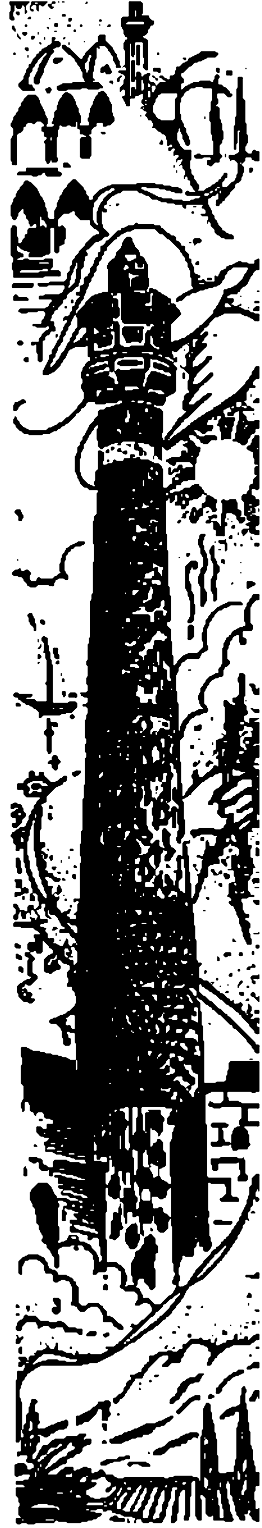
رفّ ! رفّ ! تواضع صدق تعلمين ، هناك
دمعة فرح في كل عين ، حينما انشد شعرى :
« اغاني القبة » ذلك الخطيب النحاسيّ الساري
الطروب

سجـدوا للأرض ، فوانجلى !
الخزي بلادى ، والظلمـات

أرأيت الآن آصرة أني بعثت ؟ بعثت لأني
كنت انسانا ، وتداركتني موسيـقى فكظمت
البسمة – يا رفّ ! – على العهـد : الا يهزّني
الزهو ، مهما سموت ، ومهما فرعت

رفّ ! رفّ ! أشمّ في انفاسك شهوة الغناء ،
دعي ما نحن ، وارفعي الصوت ، ثم . هكذا :
يهدو ، « غنوا معي ، يا للطرب ! وبعدذا ؟

غنوا معي : حافظ نغمة من أعماق الوجود ،
نغمة وسنى في مهاد الخيال ، وجناح جبريل
يروّح عليها ، ويهدهدها !





من قبة الاشراف : من طور التجلى اطلّ
على صرخة الجمال ، وشرب ناعش خمر السماء

وندّى ندى الوحى ازهار روحــه ، ومدّ
السناء له فى الجناح

جبل من نور وندى ، فهو ألفاف الخزامى
هزّة طرب ، وومضة ابتسام ، فى هلهل نضير
من ديباج السماء

سمعت صلاته اليوم تقول : الفجر اوما ،
يا حنون ! وضم الظلام إلى صدره حنان النور

افتنّت يد الله فى تصوير الجمال: لمخضوضر
الأفياء ، وتهنأ الانسام ، ودبيب الانوار فى
بدع ، بناسم حاسة الاعجاب

لفتنا الصبح ، يا صبيح ! وترامت اطياب
الزهر فى احضان النسيم ترامى النور فى الماء

فى زفّة الصبح ، وفى رقّة النور تترامى
من امواج الضلوع افواج التسابيح تشق طريقها
إلى سمع الله

سبّحى سبّحى ، طيـــور الغرد : غرد
الطيور ؛ واغمسى الزقزقات الهيم فى اصباغ هذا
الضيـاء

هنا يلمس بنان الشاعر العطري بلورنافذتي،
وهنا تطل عينه الدامعة على اطلال ليلتي

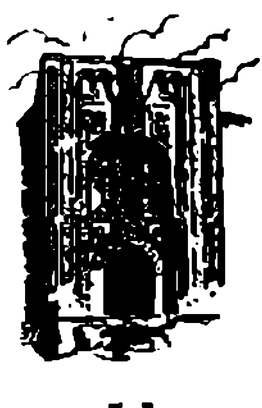
اطلال ليلتي الراحلة اعشاش طارت عصافير
التمجيد منها ، وآثار دم اللحن الذبيح

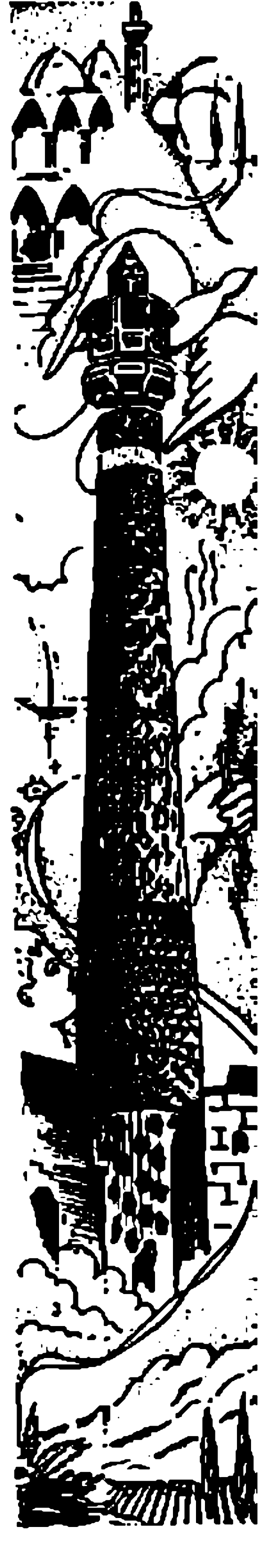
دفنتُ لواعجي في صدر ملاحني ، ودفنت
ملاحني في ذبذبات الأثير، لترفع غمائم أحلامها
الى بَرد الرضى من ساحة الله

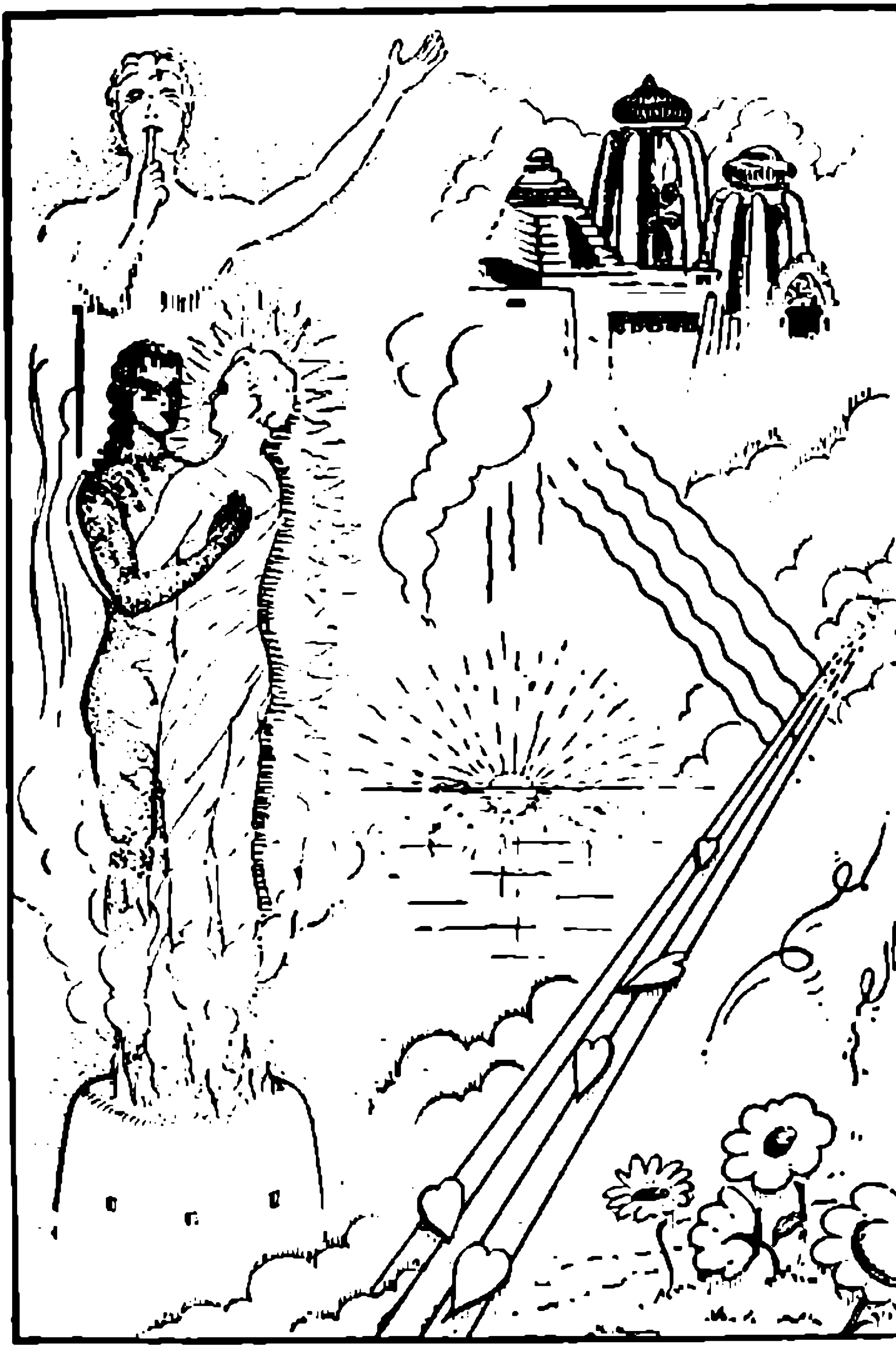
امتدتْ لك في سرادق قلبي الشاعر الأمجد
فلوغل في جوانبه نوراً ربيقاً على نور ، ولتمد
ذكريات الطوفان : طوفان الأنوار

وتر حبيك المشدود على اجواء الحيـــاة ،
الوثيق بمنطق الزمن يتناثر من تيار هزاته عارم
الومضات : ومضات مناغمتنا في وحدة الأقنوم

نحن شظايا التنور ، نحن اباديد الله ، انطلقنا
من عقال الزمن ، فصلى الصبح لنا ، وقبّلنا
متوع المساء .







الشرح

المجلوّ على جواد : المرفوع عليه

المُوهُو : الاتحاد بالذات

أوزعه : ألهمه

الهيولا : الأصل ، والمادة . والكلمة يونانية

صوّح الشجرة : جففها

لامعى : شاعر تركى عاش فى عهد السلطان سليمان الكبير

التآثر

ثلاث جمل من الحلاج مع التعديل

وجملة من حافظ مع التعديل

وجملة من لامعى مع التعديل

وجملة من البسطامى مع التعديل

وسائرها لصاحب الكتاب

سورة الفناء

كتاب الأرض تفسيره فى السماء . يا أيها التفسير ! قل لى . حلمت انى امام بركان رهيب ، ينفث حمم الآهات ، فى مدينة اسماها البشر دار السلام

فأجابنى التفسير بلغة السكوت : انظر واسمع .
ونظرت ، فاذا ابن المنصور يحلق على جواد الفلك ، وفى يده راية العهد بسطورها الدامية

وسمعت السطور تقول : لو بعتنى الجنة ، يا إلهى ! بلمحة من وقتى ، او بطرفة من حر انفاسى ، لما اشتريتها

ولو عرضت على النار بما فيها من الوان عذابها لهانت امام ما أنا فيه من حال استتارك عنى

انا الحق ، انا الهوهو ، اعف ، ربى ! عن الخلق ، ولا تعف عنى ، وارحمهم ، ولا ترحمنى

ثم سمعت العدل يقول : يا رفقة العلم من أذاة الجهل ! يا لعطر العزة من نتن الصغار ! ظلموا الحكمة ، إنها لم تكن قيد الأوهام



أين البلابل الثرثارة ؟ طلبوا الحكمة ،
فطلبوا وصالها ، اسمها اسمها من مطلبها :

ما فقدتُ لى عضو ولا مفصل
إلا وفيه لكم ذكر

وحرمةِ الود الذى لم يزل
يطمع فى إفساده الدهر

ما حلّ بى عند نزول البلا
بأس ، ولا مسّنى ضرّ

وانثنى الوجه المدمّى اثنائه الوردة الباسمة
الحمراء ، وأضرمت النار ، وذرى الرماد

ناحه الملائك ، يا بلبل ! يا عندلة الجنان :
فانشر جناحك ، وغادر البؤرة إلى عش الوفاء

وأنت يا قلب حافظ ! يا خفقة الرضى
الحزين ! ابك وابكِ باسما ، فلكن النيب خزانة
الحكمة والسناء ، ومكمن النيب صلاح الوجود

وإذا تبدّى حكم الحبيب فى لهيب الجحيم ،
فثمّ الرحمة ، وثمّ النعيم



كوكبة النشيد تأهبت ، وعيون النـاى
تنتظر منك الاشارة ، يا جـبريل الكوكبة !
يا ناى منصور !

الى الصّبـا ، يا من صبـــا !
واسكب لنا ، واسق العطاش

دوّليب لنا هـذى الصنوج
دوّليب لنـا هـذى الرياش

وغنّنا بجوى الحزين

وانخطرت السماء لمروج الروح ، وغـص
الفضاء ببخـور السـدرة ، وحفيف الخطوة ،
وزجل الجنة ، ولألاء قُبَل النجوم

وانعكس المرأى الرهيب فى مرآة الرفيق
الأعلى ، فتساءل الملائك : أهـذا يوم القيامة :
قيامة الأنوار ؟

وتراءى شعاع واحد من مواكب الأنوار على
الدنيا ، فاشتعلت هيبة ، وغنّى قطب الاستواء :

سبوّح ! تنوّر وشاءتك روحى ، فزيّنى
بالتجلى ، وأوزعنى أن أرتل آيات الحمد

ارفعنى إلى مقام الفناء : الفناء فى صمديتك ، حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك

هباء هيولاى حجاب الروح ، فيا البشرى يوم التداعى : تداعى الهباء !

عطش الفناء : الفناء عن وجود السوى ، الفناء فى وجود الواجب الوجود صوّح شجرة حياتى

تحنان الروح ، نوافح ريحان القلب ، مداد مصحف الحياة لستقبل فجر عمر جديد ، مداه مدى ابدية الله

فالىَّ إلىَّ ، ضمنى ثم ضمنى ، ضمنى وضيّق علىَّ الخناق ، حتى أكون أنا إياك ، وتكون أنت إياى ، وأنى ، وأنى ، وأف ..

